

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصول الثلاثة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|--|---------|--------------|-----------------|
| | المكان: | ١٤٣٣/٣/٢٣ هـ | تاريخ المحاضرة: |
|--|---------|--------------|-----------------|

الحمد لله الذي منَّ علينا وهدانا للإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كم هي فرحتنا هذه الليلة وأنسنا وسعادتنا في محافظة بيشة قاطبة، ولو كان لمدينتنا لسان تتكلم به لقاتل بلسان الحال أهلاً وسهلاً بأهل الجود والكرم، أهلاً وسهلاً بأهل الفضل والقلم، نسعد وإياكم في هذه الليلة ونأنس ونفرح بوجود صاحب الفضيلة معالي الشيخ الدكتور: عبد الكريم الخضير معنا في هذه الليلة فحياء الله ومرحباً وأهلاً وسهلاً به، ونسأل الله - جل وعلا- بمنه وكرمه أن يجعل خطاه إلى هذه المحافظة وغيرها في موازين حسناته، نأنس وإياكم بأن ننهل من علمه، ونستأنس بفضله، ونفرح بلقياه، فأهلاً وسهلاً به ولا آخذ من وقته فأنتم في أشد الشوق إلى سماعه، ولا أنسى أن أرحب بصحبه الكرام الذين رافقوه فأهلاً وسهلاً ومرحباً بهم ماجورين موفقين مسددين، هذه الدورة العلمية التي سيكون فيها هذه الليلة وغداً بإذن الله بعد صلاة المغرب ويوم الجمعة بإذن الله بعد صلاة العصر، فنسأل الله لشيخنا التوفيق والتسديد إنه سميع قريب.

وصلى الله على نبينا محمد.

الجمعة أيضاً بعد المغرب

إخواننا فضيلة الشيخ يقول أن درس الجمعة سيكون بعد صلاة المغرب أيضاً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا الكتاب الذي هو موضوع هذه الدروس كتاب نفيس جداً، وكان محل اهتمام وعناية من أهل العلم بل من عامة الناس، وكان الناس يقرؤونه في المساجد على الشيوخ بكثرة، وكان الولاة والعلماء يوجهون أئمة المساجد بإقراءه الناس وتوضيحه لهم، ثم بعد ذلك هؤلاء العامة يذهبون إلى بيوتهم فيلقنون نساءهم وذريتهم وهذا شيء أدركناه وأدركه من تقدمت به السن لأهميته؛ لأنه يبحث في أهم الأمور التي يُسأل عنها المسلم إذا وضع في قبره ولا يُسأل عن غيرها، فإن أجاب نجا وإن لم يجب هلك، والحديث بل الأحاديث في ذلك معروفة مشهورة، هذا الكتاب الذي ألفه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من أنفس كتبه، وكان مثل ما قلنا محل عناية من عامة الناس وخاصتهم، لكن لما فُتحت الدنيا على الناس منذ ثلث قرن رأينا الناس زهدوا فيه وتركوه أعني عامة الناس، وإلا فما زال هو المقرّر لمادة التوحيد في الصفوف الأولى وإن لم يسمَّ

بالأصول الثلاثة، المقصود أن محتواه موجود في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية يعرفه الأطفال، لكن عامة الناس من عرفه منهم نسيه فالتذكير به من أهم المهمات، والإمام المجدد - رحمه الله- إنما ألف هذا الكتاب لصغار المتعلمين والعامة الذين لا يدركون تفاصيل العلم ودقائقه؛ ولذا من الحرج الشديد أن يشرح مثل هذا الكتاب بأسلوب علمي موسّع يُذكر فيه الدقائق وينقل فيه ما قاله أهل العلم في مسائله وأدلته؛ لأنه ألف ابتداءً للصغار، لكن الإشكال في أن الحضور في هذه الدورة فيهم المتوسطون، وفيهم طلاب العلم، وفيهم من هم فوق ذلك، ولا بد من مخاطبتهم على مستواهم.

أعود فأقول أن الشرح لهذا الكتاب أولاً الوقت لا يُسعف للتفصيل أو التفصيل في جميع مسائل الكتاب وبيان أدلته ومقصد الشيخ منها ثلاثة دروس لا تكفي، الأمر الثاني: أن الإجمال في شرح هذا الكتاب لأنه ألف لصغار المتعلمين لا يناسب أكثر الحضور؛ لأن أكثر الحضور طلاب علم يعرفون مثل هذه الأمور الإجمالية ويريدون التفاصيل، والإشكال في الموضوع أنني لا أعرف أن أتعامل مع صغار الطلاب إلا بمشقة شديدة؛ لأن الحضور في الغالب كبار ويحتاجون خطاباً على مستواهم، فلعلنا نوفق للتسديد والمقاربة في إيصال المعلومة إلى الصغير والمتوسط ولا يحرم الكبير إن شاء الله تعالى.

يقول الإمام المجدد- رحمه الله- في هذا الكتاب النفيس وجميع مؤلفاته- رحمه الله تعالى- في غاية الأهمية لطلاب العلم لاسيما ما يتعلق منها بالعقائد وتقرير الأصول التي يبني عليها دين الإسلام، عنوان الكتاب ثلاثة الأصول وأدلته، وفي بعض النسخ: الأصول الثلاثة وأدلته هل هناك من فرق بين العنوانين؟ ثلاثة الأصول والأصول الثلاثة؟ الأصول الثلاثة الأصول معروف أنه إما خبر لمبتدأ محذوف والثلاثة صفتها، وأدلته معطوفة عليها، ثلاثة الأصول كذلك، لكن ثلاثة مضاف والأصول مضاف إليه، أيهما أولى أن نقول الأصول الثلاثة وأدلته أو ثلاثة الأصول وأدلته؟ لا شك أن الأصول الثلاثة معرفة بأل وثلاثة الأصول معرفة بالإضافة فالفرق يسير، لكن ثلاثة الأصول من إضافة الشيء إلى ماذا؟ أو إلى نفسه؟ لأن الثلاثة هي الأصول في هذه الحالة بالإضافة تفيد التعريف؟ أين الذي طبع هذه النسخة؟ لنرى ما اعتمد عليه لَمَّا سُمي الكتاب ثلاثة الأصول، الذي طبعها الشيخ عوض معنا؟ موجود؟ علام اعتمدت يا شيخ؟

طالب:

كتب ثلاثة الأصول يعني ما وقفت على نسخة أقدم مما اعتمد عليه ابن قاسم؟ أو ما لفت العنوان انتباهك؟

طالب:

لكن المحتوى بين ثلاثة الأصول والأصول الثلاثة واحد.

طالب:

الذي معنا الأصول الثلاثة ما فيه شيء نفس الذي عندك لعل عدم التدقيق في العنوان؛ لأن أثره قليل.

طالب:

ما هو؟

طالب:

هذا الأصول الثلاثة وأدلتها موجود، على كل حال التدقيق في العنوان لا يهتم به من قبل المحققين؛ لأن أثره في الواقع العملي ضعيف، سواء قلنا ثلاثة الأصول وعرفناها بالإضافة أو قلنا الأصول الثلاثة وعرفناها بأل الأمر سهل، لكن يبقى أن المعوّل عليه والمردود إليه هو ما كتبه الشيخ رحمه الله بيده وإذا وقفنا على نسخة بهذا أو ذاك تعين التزامها.

طالب:

يقول المؤلف- رحمه الله تعالى:- "بسم الله الرحمن الرحيم اعلم رحمك الله" ابتداء المؤلف بالبسملة واقتصر عليها دون الحمدلة، والاكتفاء بالبسملة كافٍ وإن كان الجمع بينهما أولى، والتثليث بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الأكمل، لكن هذه رسالة مختصر جدًا موجهة إلى فئة معينة يستهدف بها العامة ليحفظوها فتجربدها من الزوائد يعين على الحفظ، واكتفى بالبسملة والقرآن الكريم مفتتح بها، ورُسُلُهُ -عليه الصلاة والسلام- ورسائله -عليه الصلاة والسلام- مفتحة بها، والقرآن افتتح بالحمدلة، وختت رسائله -عليه الصلاة والسلام- من الحمد وإن اشتملت عليها خطبه -عليه الصلاة والسلام- والصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام- من أفضل الأعمال، ومن صلى عليه واحدة صلى الله بها عشراً، فالجمع بين الأمور الثلاثة هو الأكمل والأولى، وكأن الشيخ جعل هذا كأنه رسالة والرسائل لا تفتتح إلا بالبسملة فقط، لم يجعله على أنه كتاب فيحتاج إلى خطبة تفتتح بالبسملة والحمدلة والصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام- صحيح البخاري على كبره وسعته ليس في أوله حمدلة؛ لأنه جعله بمثابة الرسالة والرسائل لا يحتاج فيها إلى الحمدلة، الحديث الوارد بألفاظ متعددة «كل أمر ذي بال لا يبدأ بحمد الله فهو أبتَر» وفي رواية: ببسم الله، وفي رواية: بذكر الله، وفي رواية: وبالصلاة عَلَيَّ وهو أقطع، وفي رواية: أجدم، هذا الحديث حكم عليه بعض أهل العلم بالضعف بجميع طرقه وألفاظه، وحسن النووي وابن الصلاح لفظ الحمد «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله» وسواءً ثبت الحديث أو



لم يثبت فالفقود إنما هي بكتاب الله - جل وعلا- المفتح بالبسملة والحمدلة معًا، ومن ضلال الرأي أن يظن ظانُّ أن هذه الأمور لا تشرع؛ لأن الحديث بجميع طرقه وألفاظه لا يثبت، حتى قال من قال كانت الكتب التقليدية تبدأ بالبسملة والحمدلة، وفي حد زعمه أن الحديث ما ثبت، إذاً كيف نثبت شيئاً وحديثه ما ثبت؟! القرآن، وخطب النبي -عليه الصلاة والسلام- ورسائله إلى الأمصار فيها بسملة، والخطب فيها حمدلة كلها ذكر مما يطلب من المسلم أن يكون لهجا به، لسانه رطبا به أيضاً، المؤلف- رحمة الله عليه- لم يقل أما بعد كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يستعملها في خطبه ورسائله أيضاً، ومثل ما ذكرنا أن هذا من باب الاختصار؛ لأن هذه رسالة موجزة، وقد يكون أصلها في ورقة وجّهت إلى الأقطار ليتعلم عليها الناس ما يجب عليهم بل أول ما يجب عليهم، فكتبت من قبل الشيخ ووزعتها على أنها خطاب للناس ليست على سنن المؤلفات، قال- رحمه الله- "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل" اعلم هذا أمر وهو أمر من مخلوق لا يفيد الوجوب وإنما يفيد التنبيه والاهتمام، إنما يؤخذ الحكم من قوله رحمه الله "أنه يجب علينا" يجب، والواجب ما يثاب فاعله ويأثم تاركه، بل المسلم يتعين عليه أن يعرف هذه المسائل؛ لأنه بأمس الحاجة إليها وهي الأصول التي يبنى عليها الدين كله، بل هي الدين كله والباقي فروع عنه "اعلم رحمك" الله الشيخ- رحمه الله- يستعمل الدعاء رحمك الله، أرشدك الله، وهذا من شفقتة على المتعلمين، مع أنه جاء في الخبر أن من دعا لأحد فليبدأ بنفسه لكن المؤلف- رحمه الله- لما قال: اعلم رحمك الله وهو يدعو لجنس المتعلمين؛ لأنه لا يدعو لشخص واحد وإن كان المخاطب واحداً لكنه يدعو لجنس المتعلمين، وكم من متعلم يقرأ هذا الكتاب ويدخل تحت هذه الدعوة، وكم للشيخ- رحمه الله- من قول الملائكة ولك بمثله رحمة الله عليه "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا يجب علينا تعلم أربع مسائل" تعلم أربع مسائل أجملها رحمه الله ثم استدل لها "الأولى العلم" اعلم تعلم العلم ثلاثة ألفاظ من مادة واحدة وهذا يبين أهمية تعلم العلم وتعليمه والعلم الأصل فيه أنه ما لا يحتمل النقيض "العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة" العلم بمعرفة الله، العلم بمعرفة نبيه ودين الإسلام لا يقبل الشك ولا يحتمل النقيض، بل لا بد أن يكون يقينياً جازماً وقسيمه الظن الذي هو الاحتمال الراجح، والشك الذي هو الاحتمال المساوي، والوهم الذي هو الاحتمال المرجوح، ويقابله الجهل وهو عدم العلم بالكلية، وهو الذي يسمونه الجهل البسيط، أو الجهل علم الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع وهو الجهل المركب، العلم وهو معرفة الله، يعني العلم بهذه الأمور معرفة الله وبمعرفة نبيه وبمعرفة دين الإسلام بالأدلة، وسيأتي تفصيل العلم بهذه الأمور الثلاثة التي هي معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام، والعلم لا يكون إلا عن طريق الأدلة من الكتاب والسنة.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولوا العرفان

هذا هو العلم وليس العلم الذي يؤخذ من غير هذه المصادر، بُني على هذه المصادر أصول أخرى مثل الإجماع المستند إلى الكتاب والسنة، ومثل القياس المردود إليهما، فالمعول في الأصل على الكتاب والسنة، وعمل أهل العلم بالإجماع لأنه لا بد أن يستند على نص من الكتاب والسنة، وعمل جمهور أهل العلم بالقياس لأنه لا بد أن يكون للفرع المقيس أصل مستند إلى الكتاب والسنة، فلا بد أن يكون العلم مقروناً بالأدلة، وإذا خلا ما يسمى بعلم من الأدلة فليس بعلم في الواقع، ونقل ابن عبد البر الإجماع على أن المقلد ليس من أهل العلم ولو حفظ المسائل دون معرفة لأدلتها وكيفية التعامل مع هذه الأدلة بالطرق المعتبرة عند أهل العلم، الثانية "المسألة الثانية العمل به" العمل بالعلم فلا فائدة لعلم لا يُعمل به، يُعطّل فضلاً عن أن يخالف وهذا في الحقيقة وإن سمي في عرف الناس علم لكنه جهل سواء خلا عن العمل أو عُمل بخلاف مقتضاه، فالعاصي جاهل ولو عرف المسائل، ولو عرفها بأدلتها جاهل ما لم يعمل بمقتضى هذا العلم، فالذي يعرف أن الربا حرام ويأكل الربا لا نسميه عالماً ولو عرف الأدلة هذا جاهل، وقل مثل هذا في جميع الذنوب والمعاصي **{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ}** [سورة النساء: ١٧] حصر التوبة فيمن يعمل السوء بجهالة مقتضاه أن الذي يعلم ما له توبة، وهل قال أحد من أهل العلم أن الزاني ليست له توبة؟ الذي يعرف الحكم بدليله يعرف أن الخمر حرام ويقرأ القرآن ويقرأ السنة وفيها الأدلة ويعرف ذلك، وقد يكون منتسباً لطلب العلم، وقد يكون موصوفاً بالعلم ثم يفعل هذه المخالفات هذا جاهل، وإلا للزم على ذلك أن توبته غير مقبولة ولم يقل بذلك أحد من أهل العلم، توبته مقبولة إلا أنه في حقيقة الأمر جاهل وإن عرف هذا الحكم وعرف دليله لكنه خالفه لماذا؟ لأن العمل هو الثمرة وإلا فمجرد العلم الخالي عن العمل المجرد عن العمل إنما هو وبال على صاحبه وحجة عليه، فإذا تعلّم الإنسان ثم عمل بما علم ثم دعا إلى ما علم والدعوة أعم من أن تكون بالخطب والمواعظ بل تكون بالتعليم كما تكون بالقدوة الحسنة الصالحة، فمن علم وعمل وعلم ودعا فإن هذا هو الذي يستحق أن يكون عالماً ربانياً، فالعالم الرباني هو الذي يتعلم العلم ثم يعمل به ثم يعلمه الناس، قال ابن عباس: هو الذي يعلم الناس بصغار العلم قبل كباره، يبدأ مع الناس بالتدرّج؛ لأن العلم لا يؤخذ إلا بهذه الطريقة. "الدعوة إليه" والنشر للعلم سواء كان عن طريق التعليم أو كان عن طريق التأليف أو كان عن طريق إمامة الناس في الصلاة وتذكيرهم وتوجيههم بعدها على وجه لا يمل الناس ولا ينفهم كل هذه دعوة، ولا تخص الدعوة بأسلوب أو بطريقة عرفها الناس اليوم، وجرّدوا نشر العلم بالطرق الأخرى عن مسمى الدعوة، وانتقد بعضهم أن يُسمى شيوخنا الكبار دعاة، منهج الشيخ ابن باز في الدعوة، منهج الشيخ ابن عثيمين، قال هؤلاء ليسوا دعاة، هؤلاء علماء، من الدعاة إن لم يكونوا هم العلماء؟! هم الذين يدعون الناس بأقوالهم وأفعالهم، هذا فهم ترتب على ما انتشر وشاع في عصرنا مما لم يعرف في عصور مضت من تخصيص وتقسيم الوظائف على قضاة وعلى معلمين وعلى دعاة

وعلى وعاظ مرشدين وعلى هيئات وحسبة التخصيص هذا من أجل حصر هذا العمل وكل يقوم بما ألزم به، ولا يعني أنه لا يزاول الأعمال الأخرى، وإلى وقت قريب كان القاضي في البلد هو القاضي، وهو المعلم، وهو الداعية، وهو رجل الحسبة، وهو كل شيء، لكن تخصيص هذه الأعمال وإناطتها بأفراد معينين لكل عمل ناس مخصصون هذا من باب حصر الأمور وضبط الأمور، وإلا لا يعني أن الإنسان إذا عُيِّن داعية لا يعلم الناس، أو عين معلماً لا يعظ الناس ولا يذكر الناس، أو عين قاضياً يقول ما لي إلا القضاء هذا ليس بصحيح، خطاب الشرع يتجه إليك في كل ما يمكن أن تدخل فيه "الدعوة إليه" الدعوة شأنها عظيم **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [سورة فصلت: ٣٣] ولا يتسنى لكل شخص أن يدعو بما شاء إنما لا بد أن يدعو بعد أن يعلم وبعد أن يعمل **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** [سورة يوسف: ١٠٨] لكن لا يعني أن يكون هذا الداعي وهذا المعلم وهذا الموجه معصوم لا، ما قال أحد بهذا ولا عصمة إلا للأنبياء، إنما عليه أن يسعى في خلاص نفسه ثم بعد ذلك يدعو غيره لهذا الخلاص، العالم العامل الداعي إلى الله سواء كان داعية أو أمراً بمعروف أو ناهياً عن المنكر أو معلماً أو ما أشبه ذلك من الفئات الذين يصادمون رغبات الناس لا بد أن يتعرض لشيء من الأذى؛ ولذا قال - رحمه الله - في المسألة "الرابعة الصبر على الأذى فيه" يعني في هذا السبيل الناشئ عن المسائل المتقدمة لا بد أن يحصل **﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾** [سورة الأحقاف: ٣٥] **﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [سورة الزمر: ١٠] فبعض الناس إذا تعرض لأذى أدى ترك هذا محروم والله - جل وعلا - يقول **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** [سورة آل عمران: ٢٠٠] والنتيجة **﴿الْعَلَّامُ تَفْلُحُونَ﴾** [سورة البقرة: ١٨٩] لا بد من هذه الأمور الأربعة اصبر وصابر وربط يعني لازم الأمر ولا تكن ممن يعبد الله على حرف إن أصابته فتنة انقلب على وجهه ترك لا، يصبر، بل لا بد من الصبر والاحتساب والثواب من الله - جل وعلا -، شخص من الدعاة الحريصين على الخير ونشره وبذله والداعين إليه والساعين في الأعمال الخيرية تبني مشروع وقف كبير، فذهب إلى التجار يجمع منهم ما يُبنى منه هذا الوقف وجمع ما تيسر وذهب إلى تاجر كبير جداً يستطيع أن يغطي هذا الوقف كاملاً ولا يؤثر في تجارته، فلما حدثه عن هذا الوقف ماذا كان الرد؟! تقل في وجهه، ماذا صنع هذا الداعي؟ قال: لا فائدة من الوقف الذي يعرضنا للإهانة لا، مسح وجهه وقال: جزاك الله خيراً هذا لي فما للأيتام؟! هذا نصيبي منك جزاك الله خيراً ويحتسب أجره عند الله - جل وعلا - هو غير خاسر، لكن من يُلقَى مثل هذا الأمر، الآن استوفيت حقي، طيب حق الأيتام؟! التاجر راجع نفسه عندما رأى الصبر إلى هذا الحد فأعطاه مبلغاً يغطي نصف الوقف، الصبر لا بد منه، والواحد ممّا إذا سمع كلمة فيها شيء من الغضاضة عليه ترك، والترك في جميع أبواب الخير ليس بعلاج، ترك متابعة العمل لأنه لم يجد نتائج ولا لمس استجابة هذا ليس

بحل، بعض الناس يقول دعوت دعوت إلى متى؟ ما استجاب أحد! أو يقول أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ولا أحد يستجيب يصل إلى حد اليأس هذا ليس بعلاج؛ لأنه ليس عليك إلا بذل السبب النتيجة بيد الله- جل وعلا- الثواب مرتب على بذل السبب، وإذا استصحب الإنسان أن النبي يأتي وليس معه أحد ما استجاب أحد، كم استجاب لنوح في مدة تقرب من ألف عام؟ تسعمائة وخمسون سنة، أقرب الناس إليه لم يستجيبوا له، لكن هل نكص على عقبيه؟ قال والله ما وجدنا استفادة من الناس ولا استجابة؟ لا، عليك أن تبذل ما تستطيع ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما النتائج بيد الله- جل وعلا- وبعض الإخوان في الهيئة في الحسبة دب إلى بعضهم اليأس ويقول خلاص والله الناس لا يستجيبون، الشرور تزيد ونحن نتعرض لابتلاء، أصيب من أصيب، وقتل من قتل وفي النهاية الناس لا يستجيبون لا، أنت في جهاد، واليوم هذا هو الجهاد المتاح فالزمه والنتيجة ليست إليك حسب استطاعتك، أنكر وأبشر بالثواب من الله- جل وعلا- الصبر على الأذى فيه **{وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا}** [سورة فصلت: ٣٥] "والدليل قوله تعالى" يستدل الإمام المجدد- رحمه الله- على ما ذكر بالقرآن؛ لأنه قال: "العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة" يعني لو لم يستدل الشيخ وذكر لنا هذه الأمور المجملة وما استدل يكون ما امتثل قوله بالأدلة، فهو يمتثل ما يوجه إليه -رحمه الله تعالى- "والدليل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم **{وَالْعَصْرِ}** [سورة العصر: ١]" سور القرآن كلها مفتوحة بالبسملة سوى براءة، والعلماء يختلفون في البسملة هل هي آية من كل سورة؟ بعد إجماعهم على أنها آية في سورة النمل، وأنها ليست بآية في سورة براءة، ويختلفون فيما عدا ذلك، والذي يرجحه شيخ الإسلام وهو قول معروف عند أهل العلم أنها آية واحدة نزلت للفصل بين السور، فليست بآية من كل سورة، وليست غير آية في جميع القرآن " بسم الله الرحمن الرحيم **{وَالْعَصْرِ}** [سورة العصر: ١]" الواو قسم، والعصر مقسم به مجرور، والعصر يختلف فيه أهل العلم: منهم من يقول الدهر كله، ومنهم من يقول العصر عمر الإنسان، ومنهم من يقول العصر ويُقصد به الوقت الذي بين الظهر والمغرب، وهذه السورة سورة عظيمة ولها شأن عند الصحابة لقد كانوا يقرؤونها إذا اجتمعوا وهي سورة كما سيأتي في كلام الشافعي أن الله لو ما أنزل حجة على الخلق إلا هذه السورة لكفتهم "**{وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [سورة العصر: ١-٣]" الرازي ذكر في تفسير السورة أن امرأة زنت في عصر النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم حبلت فلما وضعت قتلت الولد فندمت، وجاءت في أسواق المدينة تسأل عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال لها **{لعلك ما صليت العصر}** العصر صلاة العصر لها شأن وهي إحدى البرّدين وهي الصلاة الوسطى وفضلها ثابت بالكتاب والسنة، لكن هذا الحديث الذي ذكره الرازي لا يُعرف عند أهل العلم ولا أصل له بل هو موضوع مختلق مكذوب؛ ولذا لما ذكره الألويسي في تفسيره قال ذكره الإمام في تفسيره، الإمام لقب للرازي

يتداوله العلماء لاسيما من الشافعية والأصوليين وبعض المفسرين يقبونه بالإمام، قال: ذكره الإمام في تفسيره ولعمري أنه إمام في معرفة ما لا يعرفه أهل الحديث من الآثار! هذا مدح أو ذم؟! ذم شديد، ولعمري أنه إمام في معرفة ما لا يعرفه أهل الحديث، الذي لا يعرفه أهل الحديث ليس بحديث مكذوب **{وَالْعَصْرِ}** [سورة العصر: ١] يقسم الله -جل وعلا- بالعصر **{إِنَّ الْإِنْسَانَ}** **{لَفِي خُسْرٍ}** [سورة العصر: ٢] الإنسان الجنس، جنس الإنسان، و(ال) هذه للجنس والاستغراق **{لَفِي خُسْرٍ}** [سورة العصر: ٢] لفي خسارة و(ال) قد تأتي للجنس والاستغراق والعموم والشمول، وتأتي أحياناً للعهد لكن ما الذي يبين لنا أنها للعموم والشمول الاستثناء **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}** [سورة الشعراء: ٢٢٧] إلا من استثنيت ممن اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فالناس كلهم الأصل فيهم الخسار **{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}** [سورة العصر: ٢] من يخرج من هذا الوصف من استثنيت **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}** [سورة الشعراء: ٢٢٧] فالإيمان لا بد منه ولا يصح شيء بدونه، لا يصح شيء بدون الإيمان وهو الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، وعطف العمل عمل الصالحات من باب عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الخاص والعناية به قال **{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}** [سورة البقرة: ٢٥] لا بد من العمل وهو شرط من شروط الإيمان شرط صحة، والمراد بذلك جنس العمل، ومنهم من يسميه ركناً، وعلى كل حال لا يصح إيمان بدون عمل **{وَتَوَاصَوْا}** [سورة البلد: ١٧] فيما بينهم تواصوا بالحق وهو الدعوة في المسألة الثالثة **{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [سورة البلد: ١٧] وهذا دليل المسألة الرابعة الصبر على الأذى فيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله "ثالث الأئمة الأربعة محمد بن إدريس، سبقة الإمام أبو حنيفة أولهم، ثم الإمام مالك، ثم الإمام الشافعي، ورابعهم الإمام أحمد، الإمام محمد بن إدريس الشافعي مولود بغزة سنة خمسين ومائة، السنة التي مات فيها أبو حنيفة وتوفي بمصر سنة أربع ومائتين، هذا الإمام الذي ملأ الدنيا علماً وانتشر أتباعه في الآفاق على مر العصور والأزمان عاش أربعاً وخمسين سنة، الذي يقرأ في طبقات الشافعية وينظر انتشارهم الواسع في الآفاق يقول هذا لو يمكن عُمر ألف سنة فبصعوبة يجمع هؤلاء الطلاب!! أربع وخمسون سنة؟! لكنها البركة بركة العلم والتعليم والعمل مع الصدق والإخلاص والله المستعان، قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - هذه السورة" يعني سورة العصر "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هي لكفتهم" هل معنى هذا أنه يمكن لمسلم أن يحفظ هذه السورة ويفهم هذه السورة ويكتفي بها عن غيرها؟ هذه السورة لها متطلبات، من متطلباتها الإيمان، إلا الذين آمنوا لا بد أن يكون مؤمناً، ومن متطلباتها العمل عمل الصالحات، ومن متطلبات ذلك التواصي والصبر فشملت الدين كله "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم، وقال الإمام البخاري رحمه الله باب العلم قبل القول والعمل العلم" قبل القول والعمل، المسألة الأولى العلم، المسألة الثانية العلم هل يصح العمل بدون علم؟! كيف تعمل؟! كيف تصلي؟! وأنت لا تعرف كيف

تصلي؟! الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» هذا يصلي على غير هدى لا يعرف شيئاً والعلم كما يكون بمعرفة الأدلة وتعلمها وتصورها وهذا لا شك أنه الأكمل في حق من طلب العلم وصار من أهله وعامة الناس يتعلمونها بالمشاهدة بالرؤية لأهل العلم ويصلونها على وجه يقرب من الكمال ويبعد على حسب اهتمام هؤلاء الأشخاص، وإلا فالصلاة عمود الدين لا بد من الاهتمام من شأنها والعناية بها فلا بد أن يتقدم العلم ليصح العمل، ولا بد أن يتلوه العمل لئلا يكون وبالاً على صاحبه، باب العلم قبل القول والعمل، القول من العمل عمل اللسان، فيبدأ بالعلم ثم يعلم الناس، يعمل بنفسه ويعلم غيره "والدليل قوله تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة محمد: ١٩]" اعلم أنه لا إله إلا الله هذا أمر والأمر للوجوب، وفي أهم المهمات الشهادة التي لا يدخل الإنسان الدين إلا بها، ولا بد من تعلمها ومعرفة معناها والعمل بمقتضاها والحذر والبعد عن كل ما ينافيها ويناقضها **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [سورة محمد: ١٩] ثم بعد ذلك القول **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة غافر: ٥٥] اطلب المغفرة من الله- جل وعلا- **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة محمد: ١٩] "فبدأ بالعلم" يقول الشيخ "قبل القول والعمل" البخاري ترجم بقوله "باب العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة محمد: ١٩] فبدأ بالعلم" انتهى كلام البخاري كمله الشيخ- رحمه الله- مما استفاده من الترجمة "باب العلم قبل القول والعمل" قال "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل" يقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى "باب العلم قبل القول والعمل" "قول الله تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [سورة محمد: ١٩] فبدأ بالعلم" الشيخ- رحمه الله- أكمل "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل" وليس من كلام البخاري قبل القول والعمل وإنما هو من كلام الإمام المجدد صاحب الكتاب، والإمام المجدد إنما أخذه من الترجمة، البخاري قال باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [سورة محمد: ١٩] ليس في البخاري واستغفر لذنبك، يعني اقتصر على أول الآية وكمل الإمام المجدد **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة غافر: ٥٥] يقول البخاري فبدأ بالعلم، قال الإمام المجدد: قبل القول والعمل، والبخاري قد يقتصر على جزء من الآية أو جزء من حديث، وما يريده- رحمه الله- من إيراد الآية هو ما بعدها في تكميلها؛ لأنه لا يتم الاستدلال للمؤلف- رحمه الله- للبخاري إلا إذا قرنا العلم والاستغفار ليتضح تقديم العلم على القول والعمل، لكن عاداته- رحمه الله- جرت بذلك أنه لا يكمل اعتماداً على معرفة القارئ وليجتهد ويتمم ما نقص؛ لأن بعض طلاب العلم يثير إشكالا هنا يقول: كيف يقول البخاري فبدأ بالعلم قبل القول والعمل والبخاري ليس فيه هذا؟ ثم تبحث في جميع النسخ والروايات ما تجد هذا الكلام، نقول الشيخ- رحمه الله- أكمل ما يحتاج إليه من الآية وأكمل ما يحتاج إليه من الكلام من باب التوضيح وما جاء به من كيسه وإنما استنبطه من الترجمة باب العلم قبل القول والعمل فلا تثريب على الشيخ- رحمه الله- أيضاً قوله باب العلم قبل القول



والعمل والدليل قوله تعالى يقول: قال البخاري- رحمه الله- باب العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى، البخاري ليس فيه والدليل إنما قال لقوله تعالى والأمر في هذا سهل لقوله تعالى أليس هذا استدلال؟ هذا استدلال من البخاري- رحمه الله- كأنه قال الدليل على ذلك قوله تعالى.

المؤذن يؤذن.

هذا الاختلاف الذي أشرنا إليه بين كلام الإمام المجدد وبين ما في الأصل من صحيح البخاري هذا لا شك أنه لا يؤثر، وأما زيادة الكلام فهو مأخوذ من الترجمة، وقوله والدليل لا يختلف مع قول الإمام البخاري لقوله تعالى ولعل الإمام المجدد- رحمه الله- اعتمد على ما في حفظه فهو يحفظ من السنة الشيء الكثير، الذي في البخاري يقول باب العلم قبل القول والعمل، نكمل كلامه لأهميته في الباب وفي الموضوع الذي نتحدث فيه لقوله تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [سورة محمد: ١٩] فبدأ بالعلم يعني قبل القول والعمل، مثل ما ترجم- رحمه الله- وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر، يعني من هذا الإرث وهذه التركة ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة **﴿ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة﴾** يعني تسهيل الطريق مرتب على مجرد سلوك السبيل، ما رتب على بلوغ غاية العلم أو إدراك العلم، تسهيل الطريق إلى الجنة بمجرد سلوكك هذا الطريق، لو ما أدركت علماً ولو ما حصلت علماً لكن من أدرك العلم وحصل العلم وعمل به وأخلص فيه لله وتعلمه لله وعلّمه الله هذا منزلته غير **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [سورة المجادلة: ١١] نتصور درجات هي مثل درجاتنا التي نصعد عليها؟! درجة لا تزيد على شبر؟! لا، درجات الجنة وكما بين الدرجة والدرجة من درجات الجنة شيء لا يقدر قدره إلا الله- جل وعلا- هذا من حصل، أما من سلك الطريق وما حصل علماً هذا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة؛ لأن بعض الناس يحضر الدروس ومعه كتب ومتحمس وجاء برغبة ومخلص في ذلك لكن تركيبه لا يساعده على التحصيل، تجد الحافظة ضعيفة والفهم ضعيف، يجلس يوماً، يومين، أسبوعاً، شهراً، ثم يراجع نفسه ماذا استقدت من الحضور؟! إذا رجع نفسه يقول ما وجدت شيئاً خلاص هذا تعب ليس من ورائه أرب، نقول هذا ليس بصحيح، أنا أدركت شخصاً يتردد على المشايخ وعمره يزيد على الثمانين ويطلب العلم منذ سبعين سنة وما أدرك شيئاً يذكر وإلى أن مات وهو يطلب العلم - رحمه الله- ما أدرك شيئاً، لكن يكفيه هذا الوعد أليس الغاية الجنة؟! إذا سلمت من النار ودخلت الجنة لو ما أدركت منازل العلماء والشهداء **﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾** [سورة آل عمران: ١٨٥] يكفيه أن الله سهل له طريقاً إلى الجنة، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: **﴿إنما أنا قاسم والله المعطي﴾** «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» «إنما أنا قاسم والله المعطي» أنا أبلغكم العلم ولا أغرس العلم في قلوبكم، الله هو المعطي- جل وعلا- وقال- جل

ذكره- **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [سورة فاطر: ٢٨] حصر للخشية في العلماء فدل على أن من لا يورثه علمه الخشية لله- جل وعلا- فإن هذا في الحقيقة ليس بعلم، فالعلم النافع الذي تترتب عليه آثاره في الدنيا والآخرة هو العلم المورث لخشية الله- جل وعلا- وقال **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [سورة العنكبوت: ٤٣] يعني الأمثال **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [سورة العنكبوت: ٤٣] أمثال القرآن على المسلم لاسيما طالب العمل أن يهتم بها ويفهمها ويعقلها ليدخل في هذا الوصف الشريف **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [سورة العنكبوت: ٤٣] **{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [سورة الملك: ١٠] نسأل الله العافية وهذا وصف الكفار والمنافقين، تجد المنافقين يحضرون يصلون مع الناس ويسمعون من النبي -عليه الصلاة والسلام- لكن إذا خرجوا من عنده سأل بعضهم بعضاً ماذا قال أنفأ ما يعقلون و**{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [سورة الزمر: ٩] هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ لا يستويون، وجاء هذا بعد مدح قيام الليل وأهله **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [سورة الزمر: ٩] فدل على أن الذي لا يعمل بعلمه ومن ذلك قيام الليل لا يستحق أن يسمى عالماً، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** لكن هل من مقتضى هذا الحديث أن من لا يتفقه في الدين أراد الله به شراً أو لم يرد الله به خيراً ولو لم يرد به شراً؟ لأننا نرى من عوام المسلمين من فيه خير كثير، حباه الله بالأموال الطائلة وسخر هذه الأموال في نصر الدين ونفع المسلمين هذا أراد الله به خيراً أو ما أراد الله به خيراً؟ من هذا الباب أراد الله به خيراً ولم يرد به شراً، فقله **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** ليس مفهومه أن كل من لم يفقه أراد الله به شراً، وإنما أراد الله به خيراً من وجوه أخرى، وإنما العلم بالتعلم، نعم العلم بالتعلم ليس فيه إلهام أو كما يدعي الصوفية علم لدني ينام الجاهل ثم يصبح عالماً أو ينام في المكتبة كما ذكر عن بعضهم ينام في مكتبة فإذا أصبح فإذا بجميع الكتب في صدره مكتبة كبيرة؟! إنما العلم بالتعلم، وقال أبو زر: لو وضعت الصمصام على هذه وأشار إلى قفاه يعني على رقبته يعني لو وضعت السيف على رقبتي ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن تجيزوها علي لأنفذتها قبل أن تجيزوها يعني الصمصامة على رقبته، يعني قبل أن يقتل لأنفذها امتثالاً لأمره -عليه الصلاة والسلام- بتبليغ العلم، وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حلماء فقهاء، ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، الرباني الذي يبدأ بالعلم بالتدريج؛ لأنه لا يمكن أن ينال العلم إلا بهذه الطريقة، العلم مثل البنين يبدأ من الأساس ثم يرتفع شيئاً فشيئاً إلى أن يصل منتهاه، الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، ومنهم من يقول: الذي يتعلم الله ويعمل ويعلم الله، يقول ابن حجر في شرحه قوله باب العلم قبل القول والعمل قال ابن المنير يعني صاحب كتاب تراجم البخاري أراد به أن العلم

شرط في صحة القول، والعمل شرط في صحة القول والعمل، هل نقول أن هذا لا يدخل فيه العامة لأنه ليس عندهم علم فلا يصح قولهم ولا عملهم؟ يعني عملهم هم علماء بقدر ما عندهم من علم، ألا يعلم العامي أن الصلاة فرض عليه والصوم كذلك والزكاة، ويعرف كيف يصلي، ويعرف كيف يصوم وكيف يزكي وكيف يحج، لو جئت بشخص من البادية أو شخص أسلم حديثاً من بلاد بعيدة عن الإسلام والمسلمين ما رأى الشعائر ولا رأى المسلمون يعملون بها ثم صلى ينطبق عليه هذا الكلام، لكن عاش بين المسلمين وعرف كيف يصلون وصلى وراء العلماء وجالسهم وسمع هذا لا يدخل في هذا الكلام لأنه عنده من العلم بقدر ما يتقن من صلاته ومن صيامه ومن حجه، أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، يعني بالعلم فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، العلم أن تعلم أن هذا العمل أمرك الله به -جل وعلا- وطلبه منك وأكد أمره وشدد في شأنه، فأنت تعمله امتثالاً لأمر الله -جل وعلا- ينشأ عن ذلك النية الصالحة الخالصة لله -جل وعلا- وأنت تعمله امتثالاً لأمره، المصححة للعمل فنتبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم أن العلم لا ينفع إلا بالعلم، لا يفهم من ذلك تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه؛ لأن بعض الناس إذا سمع أحاديث الترهيب من العلم والتعلم لغير وجه الله ترك يقول والله أنا لست ملزماً أن أكلف نفسي وفي النهاية أصير من الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم النار، أو أتعلم ثم ما أعمل فأصير مثل فلان وفلان يصير العلم حجة علي لا، ليس هذا هو الحل، الحل أنك تتعلم وتعمل، والحل أنك تتعلم وتخلص لله -جل وعلا- حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم أن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه؛ لأنه يتردد علينا كثير من طلاب الكليات الشرعية يسمعون ما ورد في الرياء وما ورد في التعلم لأجل الدنيا، وحديث أول من تسعر بهم النار فيقول والله لا نقدر سنترك التعلم، نتعب سنين طويلة وهذه النتيجة، دعنا نطلب المال من غير وجه العلم بتجارة أو نجارة أو طب أو هندسة أو ما أشبه ذلك من أمور الدنيا، ليس عليهم شيء إذا طلبوها للدنيا، لكن ثم بعد ذلك يترك العلم الشرعي ويترك الكليات الشرعية ويترك الدروس العلمية ويترك الدورات وغيرها خشية من هذا!! لا، ليس هذا هو الحل، إنما الحل مجاهدة النفس في تصحيح القصد والنية.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

طالب: جزاكم الله خير يا شيخ الأسئلة.

يوجد وقت الآن!؟

طالب: نصلي ثم بعد الصلاة.



لا لا، ما لا يوجد شيء بعد الصلاة.

طالب: نؤجلها إلى غد إن شاء الله.

إن كان ثمَّ وقت والله بوجدنا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصول الثلاثة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|--|---------|--------------|-----------------|
| | المكان: | ١٤٣٣/٣/٢٤ هـ | تاريخ المحاضرة: |
|--|---------|--------------|-----------------|

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب وأدخلنا وإياه الجنة بغير حساب ولا عذاب يقول-رحمه الله تعالى- "اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل" اعلم هذه للتنبيه والاهتمام بشأن ما يلقي بعدها "رحمك الله" دعاء للقارئ والمنفتح "أنه يجب" وعرفنا أمس أن كلمة اعلم من المؤلف لا تدل على الوجوب وإن كانت صيغتها الأمر، إنما هي لمجرد التنبيه لأهمية ما يلقي بعدها "أنه يجب" هنا يؤخذ الحكم الشرعي أنه يجب، طيب ما قال في المسائل الأولى قال أنه يجب عليه تعلم أربع مسائل يجب وجوباً شرعياً بمعنى أنه يأثم الذي لا يتعلمها من المكلفين وهذا مما يتعين معرفته وفهمه على المسلمين عموماً ولا يسع جهله إذا كان تعلم العلم فرض كفاية على الأمة فإن هذه من واجبات الأعيان، هنا يقول "على كل مسلم ومسلمة" على كل مسلم ومسلمة الذكور عُرف اهتمامهم بالعلم على مر العصور وفي عصر الصحابة الأمر ظاهر ومن بعدهم إلى يومنا هذا، لكن النساء عُرف من الصحابيات من لها باع في العلم والتعليم والدعوة والإفتاء لكنها في مجال لا يثير فتنة الرجال بها لأنهن يمتثلن ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام- **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** [سورة الأحزاب ٣٣/٥٣] فلا يمكن أن يتذرع بأن من الصحابة من تعلمت وروت الحديث ويقول لا مانع أن تعلم الرجال ويعلمها الرجال على الشكل الذي هو موجود الآن في كثير من أقطار المسلمين هذا لا شك أنه يترتب عليه مفسد عظيمة، والعلماء يقررون أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ولو في تعليم العلم لا يجوز، والعلم الشرعي مما يُبتغى به وجه الله ويطلب به ثوابه، والثواب من عنده- جل وعلا- وما عند الله لا ينال بسخطه، ما نقول والله هذه تطلب العلم تزاحم الرجال؛ لأن العلم جاء فضله في الكتاب والسنة نقول لا، نقول العلم عبادة والعبادة لا تتحقق بهذه الصورة مع المعارض الأقوى "أنه يجب على كل مسلمة ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل" وفي النسخة الأخرى تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن، تعلم هذه الأمور الضرورية لعموم المسلمين أمر مهم جداً، ومع الأسف أن الناس فرطوا فيها واشتغلوا بما لا ينفعهم في دنيا ولا أخرى، تجد من يدرس في مدارس المسلمين أموراً ليست الأمة بحاجة إليها لا من الذكور ولا من الإناث، ولو قلنا أنه قد يحتاج إليها فلنفر يسير من الناس فلماذا تُعمَّم على الناس كلهم وتكون على حساب العلم الضروري مثل هذه المسائل أو على العلم الذي جاء الحث عليه مما هو فرض كفاية؟ فكثير مما تشتمل عليه المناهج لا يحتاج إليه وإن ادعيت الحاجة إليه فلنفر يسير، فلماذا يُشغَل الناس بأمر قشور نفعها إن وجد ففي

جوانب يسيرة من أمور الحياة وتكون على حساب الكتاب والسنة وما يجب تعلمه ويتعين فهمه على الأمة من رجال وإناث وصغار وكبار **"تعلم هذه الثلاث مسائل"** تعلم ثلاث هذه المسائل يعني تقديم وتأخير والتركيب **"تعلم ثلاث هذه المسائل"** فيه قلق يعني ليس مطرداً، فعندي أن قوله في الطبعة الثانية **"تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن"** أولى وأسلم، الأولى من هذه المسائل **"أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا"** على كل مسلم من ذكر وأنتى صغير وكبير أن يتعلم هذه المسائل: أن الله- جل وعلا- هو الخالق ونصوص الكتاب والسنة متظافرة على إثبات صفة الخلق لله- جل وعلا- وأنهم مخلوقون مريبون مدبرون لله- جل وعلا- وكما أن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة يقرّر هذا فكذلك الدليل العقلي، وفي الشرع في القرآن ما يقرر الدلالة العقلية على هذا فهو دليل شرعي من حيث وروده في القرآن وهو دليل عقلي بحيث الحصر في أمرين لا ثالث لهما إلا ما يراد إثباته هو أن الله جل وعلا هو الخالق **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ}** [سورة الطور ٣٥/٥٢] أم خلقوا من غير شيء من عدم، هكذا وجدوا فجأة من لا شيء أم هم الذين خلقوا أنفسهم، هل يتصور هذا أو ذاك؟ أنت جالس في فضاء ثم فجأة يمثل أمامك مخلوق من دون أي سبب خلق من غير شيء أم أن الإنسان هو الذي يخلق نفسه؟! لا يوجد ثلاث إلا أن الله- جل وعلا- هو الخالق **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ}** [سورة الطور ٣٥/٥٢] ولذا لما سمعها جبير بن مطعم لما قدم المدينة في فداء الأسرى سمع النبي - عليه الصلاة والسلام- يقرأ سورة الطور وذلك أول ما قر الإيمان في قلبه يقول كاد قلبي أن يطير، انظر إلى تأثير القرآن في كافر فهل جماهير المسلمين يتأثرون بالقرآن ويفهمون القرآن كما فهمه هذا الكافر؟! **{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}** [سورة المائدة ٨٣/٥] وهم نصارى ما الذي دهى المسلمين في ألا يختلف الأمر عندهم، في أن يقرأ القرآن أو تقرأ الأخبار؟ ما الذي دهاهم؟! ويستوي في ذلك عامة وخاصة، وطلاب العلم كثيرا ما تسمعه يقرأ القرآن ما كأنه قرآن؟! زرارة بن أوفى سمع **{فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ}** [سورة المدثر ٨/٧٤] من الإمام وصلي الفجر صُقع فمات، هل لفتت انتباهنا هذه الآية أو نمرها ما كأنها آية؟! هل لها معنى ووزن ثقيل في قلوبنا أو لا فرق بينها وبين غيرها؟! أو الرجل المذكور زرارة بن أوفى ليس عنده سألقة على ما يقول العوام وافقت قدرا ومات؟! يا إخوان الران الذي ران على قلوبنا وغطاها جعلنا لا نستفيد من القرآن، الشبهات والشهوات التي نزاولها غطت على قلوبنا ومشاعرنا وجعلتنا لا نتفاعل ولا نستشعر عظمة هذا القرآن، قد يقول قائل الرسول - عليه الصلاة والسلام- أنزلت عليه وقرأها والصحابة سمعوها من الرسول - عليه الصلاة والسلام- ما مات منهم أحد وهذا الكلام يجعل بعض أهل العلم ينكر مثل هذه التصرفات من العشي والصقع لأنه ما وجد في عصر الصحابة وجد في عصر التابعين فمن بعدهم فهل يُمدح به من وجد منه؟ مع أنه لم يوجد في عصر الصحابة ولا حصل منه - عليه الصلاة والسلام- فهل نقول أننا مثلا

نحن في تصرفاتنا وكوننا لا نصل إلى هذا الحد أشبه بالصحابة من هؤلاء؟ الرسول - عليه الصلاة والسلام - ألقى عليه هذا القول الثقيل لكن عنده قلب قوي يستوعب هذا القول ويتحمل هذا القول، القول ثقيل وعظيم مؤثر **إِلَّا أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** [سورة الحشر ٥٩/٢١] فالخشوع والتصدُّع من أثر القرآن لكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - عنده من القلب القوي والتثبيت من الله - جل وعلا - لتلقي هذا القول من أجل أن يبلغه الناس ما حصل منه هذا الغشي ولا هذا الصعق، وصحابته الكرام هو قوتهم وهو أسوتهم يستشعرون عظمة هذا القرآن وأقوالهم تدل عليه، وبكأولهم يدل عليه، والواحد منهم يردد الآية ويكي طول الليل مثل عمر، يستشعرون عظمة القرآن وينتفعون بالقرآن، وجاء من بعدهم مع استشعارهم لعظمة هذا القرآن ضعفت القلوب فصارت بقدر الاستشعار مع هذا الضعف لا يوجد تناسب فوجد الغشي ووجد الصعق، لكن هل واقعا يشهد بأننا نستشعر عظمة القرآن وفي قلوبنا قوة مثل قلوب الصحابة أو أننا في الأصل لا نستشعر شيئاً؟ وهذا هو السبب في عدم التأثير! كوننا لا نستشعر هذه العظمة ولا هذه القوة هو الذي يجعلنا على هذه الحال، الإنسان يسمع القرآن وبصوت مؤثر بتغني ومن قارئ مجود ومؤثر وكأنه لا يسمع شيئاً وكنا نسمع البكاء عند سماع القرآن في الصلوات إلا أنه تضاعف وخف فلا يكاد يوجد إلا في القليل النادر، الإنسان الواحد منا إذا دخل في الصلاة نظره في الساعة متى ينتهي كأنه بلسان حاله يقول أرحنا من الصلاة، وإذا أطال الإمام بقراءة آيتين أو ثلاث زيادة أو خمس تذر وتجدده يراوح بين رجليه يرفع هذه ويضع هذه مستثقل وهذا موجود، وإذا خرج من المسجد وجلس في الشارع مع زميله أو مع قريبه أو حبيبه ما عنده مشكلة في أن يجلس ساعة أو ساعتين واقفاً، قصة ذكرت مراراً شيخ من الشيوخ أدركته وهو يناهز المائة سنة يصلي قائماً معتمداً على عصاه في صلاة التهجد وراء شخص قراءته أقل من عادية يعني ما تؤثر، يعني لو في وقتنا ما تركناه يصلي بنا، صحيح أنه حافظ ولا يخطئ لكن ليس عنده يعني الصوت الذي يجذب بحيث يتلذذ به السامع ويطلب المزيد لا، ويصلي في كل تسليمه جزء من القرآن، وصلاة التهجد خمس تسليمات في كل تسليمه جزء هذا الشيخ الكبير يصلي قائماً خمسة أجزاء تقرأ وهو قائم، في ليلة من الليالي سمع الإمام وهو في التسليم الأخيرة مسجد يؤذن ومعروف أنه لا يؤذن الأذان الأول إلا بعد نهاية الصلاة ليقع السحور بين الأول والثاني، سمع المؤذن وخفف ترك ورقتين أو ثلاثاً من الجزء في التسليم الأخيرة فلما سلم من صلاته أقبل عليه هذا الشيخ الكبير فقال له يا عبد الله اسمه عبد الله عندما جاء وقت اللزوم خففت؟! ماذا وراءنا؟! وراءنا السحور ولاحقون عليه! هل نستطيع مثل هذا؟! أبو خمس وعشرين سنة أو ثلاثين سنة لا يتحمل قراءة ورقتين وليس جزء وراء الإمام!! من الذي يتعامل مع الله - جل وعلا - في الصلاة البدن أو القلب؟ القلب، انظر في أحوال الناس بعض الناس في تجارته مستعد يحمل الكيس سبعين ثمانين مائة كيلو وهو مرتاح، لكن لو تقول له

تعال ساعدني على هذا الشيء في المسجد أو في كذا ولو كان شيئاً يسيراً قال: والله أنا لا أتحمل الآن، ولو جرب نفسه وجد نفسه ما تحمل بالفعل، لكن كلُّ على ما يرتاح له قلبه، إذا ارتاح القلب صنع الأعاجيب، يذكر في جهة من الجهات أن شيخاً كبيراً منذ عشرين عاماً يصلي جالساً وعندما جاءت العرضة يوم العيد قام يعرض ساعتين واقفاً قالوا يا فلان ما تتقي الله أين صلاتك عشرين سنة جالساً؟! قال والله لو أنكم تدرّون ما الذي حملني، فإني لا أدري والله ما الذي حملني؟! فعلى الإنسان أن يربط ويتعلق بالله-جل وعلا- ويكون قلبه معلّقاً بالمساجد، الآن كثير من الناس يدخل المسجد وقلبه معلّق في ماذا؟ أحد قلبه معلّق في الدنيا، وأحد معلق قلبه في القنوات، وواحد معلق قلبه حدث ولا حرج كل يعمل على شاكلته، فلا شك أن أمورنا تحتاج إلى مراجعة والله المستعان.

"الأولى أن الله خلقنا ورزقنا" **{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}** [سورة الذاريات ٥١/٥٨] «إن أحذكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً» وأربعين وأربعين وأربعين «ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بكتب رزقه» الرزق من الله-جل وعلا- وما يحصل عليه المرء أو الإنسان أو الحيوان في هذه الدنيا فهو من رزق الله-جل وعلا- ولا يلزم من تسميته رزقاً أن يكون حلالاً عند أهل السنة، هذا رزق بمعنى أنه وصل إليك هذا المال أو هذا الطعام من الله-جل وعلا- خلافاً للمعتزلة الذين يرون أن الحرام ليس برزق من الله، فكما أنهم أثبتوا خالقا مع الله يعني المعتزلة لأنهم أثبتوا أن الإنسان يخلق فعله والله-جل وعلا- يقول **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}** [سورة الصافات ٣٧/٩٦] قالوا لا، الإنسان يخلق فعله فاثبتوا خالقا مع الله كما أنهم أثبتوا رازقا مع الله، ويمكن أن يعيش إنسان من ولادته إلى وفاته ما وصله من رزق الله شيء، على مذهبهم يولد المولود ويتلقفه لصوص ويطعمونه من سرقاتهم وينشأ معهم ويصير لصا معهم إلى أن يموت ويصير ما رزقه الله شيئاً هذا قول باطل، الرزق هو الله-جل وعلا- لكن لا يعني أن كونه رزقا ويسمى رزقا أن يكون حلال "أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً" مثل الدواب الضوالة التائهة في البراري والقفار ما تركنا هملاً بل خلقنا لحكمة وهدف والهدف من خلق الجن والإنس ما جاء في قوله-جل وعلا- **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [سورة الذاريات ٥١/٥٦] كما سيأتي هذا هو الهدف من خلق الإنسان، فعلى العاقل الذي يسعى لنجاة نفسه أن يجتهد في تحقيق هذا الهدف ويجعل ما عداه من الوسائل المعينة لتحقيق هذا الهدف وكثير من المسلمين انقلبت عليه الأمور فصار يهتم بالوسائل ويضيع الهدف، يهتم بأمور دنياه ويترك ما خلق من أجله، الله-جل وعلا- يقول **{وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}** [سورة القصص ٢٨/٧٧] لا تنس يعني عليك بتحقيق الهدف ونصيبك من الدنيا هذا يعينك على تحقيق الهدف، بعض الناس عكس صار همه الدنيا والدين على الفرغة، وصار كثير من المسلمين يحتاج إلى تذكير لا تنس

نصيبك من الآخرة عكس مراد الله- جل وعلا- "ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولا" بل أرسل إلينا رسولا وهو محمد -عليه الصلاة والسلام- كما سيأتي في الأصل الثالث "فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار" هو مبلغ عن الله- جل وعلا- من أطاعني «كل يدخل الجنة إلا من أبي» قيل ومن يأبى يا رسول الله؟! قال «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» ويترتب على ذلك أنه يدخل الناس نسأل الله العافية {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [سورة الأحزاب ٧١/٣٣] ومقابله الذي يعصي الله ورسوله مقابل الفوز العظيم الخسران المبين، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار "والدليل قوله تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ} [سورة المزمل: ١٥]" {فَكَفَيْتَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً} [سورة النساء: ٤١] الأمة تشهد على سائر الأمم والرسول -عليه الصلاة والسلام- يشهد على الجميع {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [سورة البقرة: ١٤٣] "أرسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا" [سورة المزمل: ١٥] ورسولنا ونصيبنا من الرسل هو أشرفهم وأفضلهم محمد -عليه الصلاة والسلام- {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً} [سورة المزمل: ١٥] وهو موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام "فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ" [سورة المزمل: ١٦] الرسول الثاني هو الرسول الأول إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول؛ لأن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عينها بخلاف ما لو أعيدت نكرة، جاءني رجل فأكرمت رجلاً هذا غيره ثاني، لو جاءني رجل فأكرمت الرجل هو نفسه "فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ" [سورة المزمل: ١٦] موسى عليه السلام "فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً" [سورة المزمل: ١٦] "أخذاً وبيلاً" قوياً شديداً «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» يأخذه أخذ عزيز مقتدر {فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً} [سورة المزمل: ١٦] "الثانية من هذه المسائل أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته معه أحد في عبادته" أو في عبادته أحد "لا نبي مرسل ولا ملك مقرب" ولا غيرهما إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا نبي مرسل الذي يعبد أشرف الخلق محمد -عليه الصلاة والسلام- أو يصرف له شيئاً من حقوق الله- جل وعلا- هذا مشرك {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [سورة النساء: ٤٨] ولو كان المشرك به أفضل الخلق لا محمد ولا جبريل ولا غيرهما فالعبودية حق لله- جل وعلا- ومع ذلك وُجد من خالف وعبد المخلوق وعبد الأنبياء والأولياء والصالحين، وُجد من يعبد الأحجار والأشجار والإشكال مبدؤه من الغلو «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» جعلوه إلها ووجد في هذه الأمة من غلا به -عليه الصلاة والسلام- حتى جعله ندّاً لله جل وعلا.

يا أكرم الخلق ما لي من ألود به سواك عند حلول الحادث العمم

إلى أن قال:

فمن جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ما ترك شيئاً لله - جل وعلا- "إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا نبي مرسل ولا ملك مقرب" ولا غيرهما يعني فمن دونهما من باب أولى، والشرك شرك سواء كان المشرك به أفضل الخلق أو أزدل الخلق يكون شرك **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [سورة النساء: ٤٨] ووجد الشرك في هذه الأمة، وعُبد الأنبياء من دون الله، وعبدت الأضرحة وعلى مستوى العالم الإسلامي إلا ما قلّ تستثنى هذه البلاد والله الحمد حيث طهرها الله من مظاهر الشرك من مظاهر الأضرحة والقباب التي تعبد من دون الله بسبب هذا الإمام المجدد المبارك، وفي كشمير ضريح من أعظم الأضرحة في العالم يسمونه ضريح الشعرة ليس فيه آدمي فيه شعرة لمن؟! للرسول؟! لا، للشيخ عبد القادر الجيلاني ضريح، التراب يباع، والماء يباع بالتولة مثل الطيب، الذي يمر من حول القبر المبتدعة منهم من يحج إلى الأضرحة كالرافضة ويزعمون أن حج المشاهد أفضل من حج بيت الله الحرام بسبعين مرة، وألّفوا في مناسك المشاهد كما ألّف في مناسك الحج لبيت الله الحرام وأي فتنة أعظم من هذه؟! تجدهم فأم يقاتلون ويتزاحمون على هذا القبر - نسأل الله العافية- إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما "والدليل قوله تعالى **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}** [سورة الجن: ١٨]" أحمد بن الصديق العُمّاري المغربي ألّف في المشاهد رسالة متوسطة الحجم وذكر في مقدمتها أن بناء المشاهد على القبور هل هو بدعة محرّمة؟ كما يقول الوهابية، أو أنه سنة متبعة من صدر هذه الأمة إلى يومنا وهو يريد أن يقرر أنها سنة متبعة وليس فيها شيء، وأن هذا من تعظيم الأولياء ولهم قدر وجاه عند الله - جل وعلا- نسأل الله العافية "والدليل قوله تعالى **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}** [سورة الجن: ١٨]" يعني العبادة والمساجد مواطن للعبادة خاصة بعبادة الله وحده، ومن المؤسف أن كثيراً ممن يسافر إلى بعض بلاد المسلمين قد يُصلي في مسكنه تقول الصلاة في المساجد يقول لم أجد مسجداً ليس فيه قبر وتوجد عودة والله الحمد وصحوة ورجوع إلى التوحيد وبُدئت مشاريع في هدم هذه المشاهد نسأل الله - جل وعلا- أن يعينهم على تطهيرها من مظاهر الشرك وأهله "الثالثة" الثالثة من هذه المسائل "أن من أطاع الرسول ووحّد الله لا يجوز له موالة من حادّ الله ورسوله" هذه المسألة مرتبة على المسألتين، الأولى: فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، والثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد، يعني وحد الله لا بد أن يوحد الله لا بد أن يطيع الرسول كما في المسألة الأولى وأن يوحد الله كما في المسألة الثانية إذا حصل هذا أن من أطاع الرسول ووحّد الله لا يجوز له موالة من حادّ الله ورسوله "ولو كان أقرب قريب" عمل بالمسألة الأولى، حفظ المسألة الأولى وتعلمها وطبقها ثم الثانية يترتب على ذلك موالة من أطاع الله ورسوله ومعاداة

من عادى الله ورسوله ولا تجوز معاداة أولياء الله، "من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب" "أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله" ومن يتولهم فإنه منهم - نسأل الله العافية- والمرء مع من أحب "ولو كان أقرب قريب" لأن الإنسان يجتمع عنده محبة جِبِلِّيَّة طبيعية ومحبة شرعية، فإذا تعارضت المحبتان فلا بد من تقديم المحبة الشرعية، حب الوالد الذي هو سبب وجود الإنسان أبوه سبب، جعل الله معاشرته الأب للأب سببا في إنتاج الولد، ولولا هذا الأب بتقدير الله- جل وعلا- ما وجد هذا الولد، وللوالد حق عظيم يلي حق الله- جل وعلا- للوالدين، والولد حبه عند أبيه لا يحتاج إلى كلام؛ ولذا جاءت الأوامر ببر الوالدين فتضافرت النصوص على ذلك والتشديد في عقوقهما، لكن ما الذي ورد في بر الأولاد؟ الجبلة والعاطفة تدفعك دفعا إلى حبهما، طيب عندك والد لا يصلي الذي لا يصلي محاداً لله ورسوله، أو ولد لا يصلي هل تحبه بسبب هذه المحبة الطبيعية أو تبغضه لأنه عدو لله؟ "أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب" ولو كان والداً أو ولداً، وإذا كان محبة الرسول -عليه الصلاة والسلام- مقدّمة على حب كل أحد «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» فلا بد أن تقدم هذه المحبة الشرعية على هذه المحبة الطبيعية الجبلية، هناك مضايق قد تتعارض في ذهن الإنسان ولا يستطيع التوفيق بينها لكن يبقى أن المحبة الشرعية التي تترتب عليها آثارها لا بد أن تكون مقدمة على الجبليّة، من هذه المضايق مثلاً جواز نكاح الكتابية تصير زوجة من اليهود أو من النصارى وفيها شرك، تشرك بالمسيح أو تشرك بعزير محادّة لله ورسوله والله- جل وعلا- يقول **رُوجِعَل بَيْنَكُمْ مَوَدَّةٌ وَرَحْمَةٌ** [سورة الروم: ٢١] المودة بين الزوجين موجودة تعارض بين المحبتين لكن إذا قدّم مراد الولد أو مراد هذه الزوجة أو مراد الوالد المنحرف على مراد الله- جل وعلا- هنا يقع في المحذور "والدليل قوله تعالى **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}** [سورة المجادلة: ٢٢]" الصحابة امتثلوا هذا الأمر فقتل الابن أباه والأب ابنه وتبرؤوا منهم في المواجهة طبقوا هذا، ويوجد في الأمة خير كثير- والله الحمد- يكثر السؤال من الشباب الصالحين يقول إن أباه مقصّر قد لا يصلي في المسجد قد لا يصلي بالكلية فكيف يتعامل معه؟ أو يقول ابني كذلك هل أطرده من البيت أو ماذا أفعل؟ ينتظر فتوى، الأمة فيها خير إلى قيام الساعة لكن يوجد من ذابت عنده هذه الخصلة، تجده ينظر إلى الرجل الصالح والرجل الفاسق على حد سواء، ومع الأسف بعض الناس ينظر إلى الفاسق لاسيما إذا كانت له وجهة أو مسؤولية أو ما أشبه ذلك ويقدمه على الصالحين.

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل غاو وأثم

إذا صرنا لا نفرق بين ولي الله وبين عدو الله لا خير فينا **"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ"** [سورة المجادلة: ٢٢] هناك مقدمات شرعية لها نتائج **{وَمَنْ يُطِغِ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}** [سورة الأحزاب: ٧١] ومن يعصهما فله الضد، من اتصف بهذه
الصفة وهي معاداة من حادَّ الله ورسوله **"رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ"** [سورة
المجادلة: ٢٢] الذين يحادون الله ورسوله هم حزب الشيطان وهؤلاء حزب الله **"أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ"** [سورة المجادلة: ٢٢] ثم قال - رحمه الله - "اعلم" وهذا كسابقيه "أرشدك الله"
أرشدك الذي ذلك على الرشد وهو الفوز والفلاح وضده الغواية "أرشدك الله لطاعته" ذلك إليها
ووقفك للعمل بها أن الحنيفية **"أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام"** أن الحنيفية ملة إبراهيم -
عليه السلام - خبر أن **"أن تعبد الله"** المصدر المنسبك من أن وما دخلت عليه وملة إبراهيم بدل
أو بيان بالحنيفية أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام **"أن تعبد الله"** يعني عبادة الله وحده
"مخلصاً له الدين" والحنيفية من الحنف وهو الميل ومن ذلكم الأحنف الذي في رجله ميل وهنا
الميل عما لا يرضي الله - جل وعلا - ويخالف مراده **"أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين"** لا بد
من أن تعبد ولا بد أن تخلص؛ لأن العبادة هي الهدف من وجودك لا بد أن تحقق هذا الهدف
لكن على أي وجه كان؟! لا، لا بد من أن تحقق شرطين الأول: الإخلاص لله - جل وعلا -
والثاني: متابعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهما شرطان لقبول كل عبادة فإذا تخلف الشرط
الأول وهو الإخلاص فلا قيمة لهذه العبادة، وإذا تخلف الشرط الثاني وهو الاقتداء واتباع النبي -
عليه الصلاة والسلام - فلا قيمة لهذه العبادة، والنصوص الموجبة للإخلاص كثيرة في الكتاب
والسنة **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً}** [سورة البينة: ٥] أن تعبد الله وحده
مخلصاً له الدين هذه الحنيفية **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً}** [سورة
البينة: ٥] يعني أتباع لإبراهيم عليه السلام صاحب الملة الحنيفية السمحة، لا بد من تحقق هذين
الشرطين لتصحيح العبادة، إخلاص العمل لله - جل وعلا -، واتباع النبي - عليه الصلاة
والسلام - **{لِيَتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَحْسِنُ عَمَلًا}** [سورة هود: ٧] يقول الفضيل بن عياض أصوبه وأخلصه،
فإن كان العمل صواباً على سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن خالصاً لله - جل وعلا -
فإنه لا يقبل، وإن كان خالصاً لله - جل وعلا - لا على هديه وسنته - عليه الصلاة والسلام - فإنه
لا يقبل فلا بد من توافر الشرطين؛ لأن الشيخ - رحمة الله عليه - أشار إلى الإخلاص، وجاء في
أحاديث الإشارة إلى الشرط الثاني وما جاء في كلام الشيخ هو الموافق لقوله - جل وعلا - **{وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً}** [سورة البينة: ٥] **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا
فهو رد» «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» «صلوا كما رأيتموني أصلي» «خذوا عني**

مناسككم» فيه أحاديث كثيرة توصل هذا الأصل، ومن لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله أن لا يُعبد الله إلا بما شرع كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - قد يقول قائل وقد قيل ألا يكتفى بشرط واحد وهو الاتباع.

المؤذن يؤذن.

ذكرنا الشرطين لقبول جميع ما يُتقرب به إلى الله - جل وعلا - وهما الإخلاص والمتابعة، الإخلاص لله - جل وعلا - والمتابعة لنبيه - عليه الصلاة والسلام - وقال بعضهم لو اقتصرنا على الشرط الثاني لكفى لأنه إذا لم يكن العمل خالصًا لله - جل وعلا - تخلف الشرط لا يكون متابعًا فيه للنبي - عليه الصلاة والسلام -، وإذا تمت متابعته - عليه الصلاة والسلام - فلا بد أن يكون العمل خالصًا لله - جل وعلا - لكن التنصيص على الإخلاص أمر مقرّر في النصوص ومقرّر في كلام أهل العلم، وإن قلنا أن عمله - عليه الصلاة والسلام - مصاحب للإخلاص فمن اتبعه واقتدى به لا بد أن يكون كذلك، لكن التنصيص على الإخلاص ليؤكّد ويؤكد، يعني لو ترك بأن قيل لا يوجد شرط إلا المتابعة قد يكتفى بعضهم بالمتابعة في الظاهر ويقول: هو متابع للنبي - عليه الصلاة والسلام - وأنه صلى كما رأى النبي - عليه الصلاة والسلام - يصلي لكنه ما كشف عما في قلبه - عليه الصلاة والسلام - من الإخلاص، يتابعه في الظاهر؛ ولذا لا بد من التنصيص على الشرط الأول وأنه في غاية الأهمية أنه مجرد ما يتخلف هذا الشرط فالعبادة تعب ليس وراءها أرب، وليست في ميزان أعماله الصالحة بل العكس يعاقب على العمل الذي يشرك فيه مع الله غيره "وبذلك أمر الله جميع الناس" الله - جل وعلا - بعث إبراهيم عليه السلام بالملة الحنيفية وأمر النبي - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه باتباعه **{أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}** [سورة النحل: ١٢٣] والملة كالجزء من الشخص وكالجزء من الإنسان؛ ولذا حينما أجازوا الحال من المضاف إليه قالوا لا يجوز أن يكون صاحب الحال مضافا إليه إلا في صور.

ولا تجز حالأ من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله

اقتضى المضاف عمله **{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}** [سورة يونس: ٤] ولا أريد أن أفصل في هذا.

أو كان جزء ماله أضيفًا

قالوا قطعت يده قائمًا اليد جزء منه فجاز الحال من المضاف إليه.

أو كان جزء ماله أضيفًا أو مثل جزئه فلا تحيفًا

مثل الجزء مثلوا له باتبع ملة إبراهيم حنيفًا، فإبراهيم مضاف إليه وحنيفًا حال منه وملته كالجزء منه "وبذلك أمر الله جميع الخلق" الاتفاق على الأصل وهو عبادة الله - جل وعلا - المقرونة

بالإخلاص لا ينفك منها أحد، ما فيه لا أحد يستثنى من عبادة الله **"لَوْ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"** [سورة الذاريات: ٥٦] ولا يوجد أحد يستثنى من الإخلاص، **"وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها"** خلقهم لهذه العبادة يعني ما الهدف من خلق جميع الناس والجن أيضًا؟ تحقيق العبودية لله-جل وعلا- **"لَوْ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"** [سورة الذاريات: ٥٦] ومعنى العبادة أعم من أن تكون عبادة بدنية أو مالية أو عملية أو علمية أو عقدية؛ ولذا قال الإمام- رحمه الله- **"ومعنى يعبدون يوحّدون"** **"لَوْ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"** [سورة الذاريات: ٥٦] هل العبادة في قوله **"إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"** خاصة بالتوحيد مع ترك العمل؟ العبادة أعم فلا بد من التوحيد وتحقيق التوحيد، ومن حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب كما في كتاب التوحيد للإمام المجدد، والمراد تحقيقه تخليصه وتثقيته من شوائب الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي **"إِلَّا لِيَعْبُدُونِ يوحّدون"** نص على التوحيد في التفسير لماذا؟ لما سيأتي **"وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة"** إفراد الله بالعبادة يعني لا تعبد إلا واحداً، لا تعبد إلا واحداً، هذا هو التوحيد بالعبادة بجميع ما يشمله الاسم كما سيأتي أن العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة هذه هي العبادة ظاهرة كالعبادات البدنية، أو باطنة كالاعتقاد، الإيمان والتوحيد والإحسان وما أشبه ذلك على ما سيأتي كلها عبادات، **"وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة"** لأن الإنسان قد يستصحب أن التوحيد خاص بما اشتملت عليه كتب التوحيد دون ما اشتملت عليه كتب الفقه، الشيخ يقول يعبدون يوحّدون طيب غير التوحيد؟ قال: **"أعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة"** طيب إذا أشركت في الصلاة هل نقول أن الصلاة ليست من التوحيد من الفقه؟ لا، إفراد الله بالعبادة على ما سيأتي في أنواع العبادة وأنها لا يجوز أن تصرف لأحد كائناً من كان إلا لله- عز وجل- **"وأعظم ما نهى الله عنه الشرك"** أعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، إلى وقت قريب والأب ولو كان عامياً إذا جلس مع صبيانه من بنين وبنات قال من الذي خلقك؟ ولماذا خلقك؟ وما المراد بالتوحيد؟ يختبرون فيما ذكره الشيخ في هذا الكتاب، لكن الآن لو تسأل دكتوراً في العقيدة مثلاً ممن ليست له عناية بهذا الكتاب ونظائره ما معنى التوحيد؟ عنده كلام كثير عن التوحيد في كتب العقائد وفي كتب الملل كلام كثير يمكن يركّب لك تعريفاً من هذه الكتب قد لا يكون عليه ملاحظة من حيث أنه كلام صحيح لكنه ليس بجامع مثل ما ذكره الشيخ- رحمه الله- أنت الآن لما تقرر كتاباً في التوحيد وكتاباً في الفقه وتريد أن تعرف التوحيد هل تدخل فيه ما يشتمل عليه كتاب الفقه؟ لا تدخل؛ لأن الحدود لا بد أن تكون جامعة مانعة، جامعة تجمع جميع ما في محتوى هذا الفن وتمنع من دخوله غيره معه ما تدخل التخصصات الأخرى مع التوحيد، لكن الشيخ نظر إلى التوحيد باعتبار معناه الأعم وهو إفراد الله بالعبادة ثم يدخل فيه كل شيء، وقد يكون الإنسان حفظ هذا الكتاب في صغره لكن لطول العهد تسأل عن التوحيد يأتيك بتعاريف

مرت في كلام أهل العلم لكن يغفل عن مثل هذا "وأعظم ما نهى الله عنه الشرك" لو قلت لأي واحد من طلاب العلم عرف الشرك تجده يَلْفِقُ لك تعريفا يدخل فيه بعض الصور لكنه لا يكون شاملا لجميع أنواعه وأفراده كما ذكر الشيخ هنا "دعوة غيره معه" دعوة غيره معه، قد يقول قائل أن هذا التعريف ليس بجامع، شخص سجد لصنم، طاف على قبر، قال ما دعوت معه غيره هذه السجدة وهذه الصلاة دعوة **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}** [سورة الجن: ١٨] بصلاتكم فيها لغير الله أو اتجاهكم أو سجودكم أو انصراف قلوبكم إلى غير الله هذه هي العبادة وهذه هي الدعوة "دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى **{وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}**" [سورة النساء: ٣٦] "اعبدوه وحده لا شريك له، اعبدوه خصوه بهذه العبادة ولا تصرفوا لغيره كائنًا من كان أي شيء من أنواعها ولا تشركوا به شيئًا، وشيئًا نكرة في سياق النهي فتعم كل شيء مما هو من خصائص الإله - جل وعلا-.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصول الثلاثة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|--|---------|--------------|-----------------|
| | المكان: | ١٤٣٣/٣/٢٥ هـ | تاريخ المحاضرة: |
|--|---------|--------------|-----------------|

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف-رحمه الله تعالى- "إِذَا قِيلَ لَكَ مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ" ما الأصول الثلاثة التي من أجلها كتبت هذه الرسالة والتي يُسأل عنها في القبر، فإذا قال لك قائل ما الأصول الثلاثة، رأى هذا الكتاب معروضا مثلاً وقال ما الأصول الثلاثة؟ ما هذا الكتاب؟ قلت له الأصول الثلاثة، قال لك ما الأصول الثلاثة؟ لأن هناك كتاباً يقال له الأصول الخمسة، فرق بين كتاب فيه تحقيق التوحيد وكتاب فيه نقض التوحيد، فالأصول الثلاثة هذا الذي بأيدينا والأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار في أصول المعتزلة، وأشرنا فيما تقدم أن المعتزلة أثبتوا خالقاً مع الله-جل وعلا-؛ ولذا سُموا مجوس هذه الأمة نقض لأصل التوحيد كما أنهم أثبتوا مع الله رازقاً وهذا سبقت الإشارة إليه، فتجد مثلاً في مكتبة أو في معرض كتاب أو ما أشبه ذلك معروض الأصول الثلاثة مع الأصول الخمسة، "إِذَا قِيلَ لَكَ مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التي يجب على الإنسان معرفتها"؟ هذه لا يسع أحد جردها لا صغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثى، ولا عالم ولا متعلم ولا عامي، على كل أحد أن يتعلمها ويضبطها ويتقنها ويحققها، هل من لازم حفظها وتعلمها أن يجيب في القبر إذا سئل من ربك وما دينك ومن نبيك؟ نفترض أنه حفظ الكتاب وقال ضمنا الأجوبة يحسبها مثل اختبارات الدنيا إذا حفظ الكتاب أو المذكرة أجاب، هل يلزم من ذلك أن يجيب في القبر؟ المؤمن يجيب ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد -عليه الصلاة والسلام- المنافق ولو كان عليم اللسان ولو كان عنده محفوظات الدنيا ماذا يقول؟ يقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقول شيئاً فقلته، يعني مع حفظنا لهذا الكتاب ولهذه الأصول وتلقين الصبيان والنساء هذا الكتاب! علينا أن نبرأ مما يناقض ما في هذا الكتاب من الكفر والشرك والنفاق، طيب المؤمن يقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد -صلى الله عليه وسلم- وأما المنافق أو المرتاب يعني وفي حكمه الكافر والمشرك يقول هاه هاه لا أدري، لكن التنصيص على المنافق؛ لأنه يعيش بين المسلمين ويخالطهم ويزعم أنه مسلم فيقول هاه هاه لا أدري كنت سمعت الناس يقولون فقلت، طيب هذا المؤمن المحكوم بنجاته يجيب والمنافق المقطوع بهلاكه لا يجيب، لكن ماذا عن المسلم المقترب للذنوب والمعاصي بما فيها كبائر الذنوب هل يجيب بجواب المؤمن فيقال له ما يقال للمؤمن؟ أو يجيب بجواب المنافق فيقال له ما يقال للمنافق؟ لأن الذي جاء في الخبر المؤمن يجيب والمنافق لا يجيب؛ لأن مقتضى أن يجيب أنه يبشّر بالجنة وينعم في قبره، لكن أنت افترض أن هذا المسلم مما جاء الوعيد عليه في عذاب القبر إما يمشي بالنميمة أو لا يستبرئ من بوله يجيب أو ما يجيب؟ إن أجاب سلم ونجا وبُشِّر ونعم وهو بصد أن يعذب على ما جاء في الحديث أن

النبي - عليه الصلاة والسلام - مرّ بقبرين يعذبان فقال **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله»** فيعذّب، هل يجب أو ما يجب؟ هذا مسكوت عنه، لكن على الإنسان أن يسعى في نجاته ليجيب ويُبشّر وينعم، المقصود أن من حفظها حفظاً وقد يحفظ القرآن وهو مع ذلك منافق يسترزق به أو يماري به السفهاء ويجاري به العلماء فلا ينجو - نسأل الله السلامة والعافية - **"إِذَا قِيلَ لَكَ مَا الْأَصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهَا فَقُلْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -"** نظير ذلك ما قيل في أن المؤمن يعطى كتابه بيمينه والكافر يأخذ كتابه بشماله، فماذا عن الفاسق؟ ابن حزم في مقدمة المُحَلَّى ولم أره لغيره يقول هو الذي يأخذ كتابه من وراء ظهره بين اليمين والشمال، لكن كما هو هنا مسكوت عنه ليقى بين الخوف والرجاء ويجتهد ويجد في السعي لنجاته وإنقاذ نفسه **"إِذَا قِيلَ لَكَ مَا الْأَصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهَا فَقُلْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ"** معرفة العبد ربّه، عرفنا فيما تقدم معنى العلم وأنه الاعتقاد الجازم الذي لا يحتل النقيض ويقابله الجهل ويقاسمه الظن والشك والوهم هذا تقدم فماذا عن المعرفة؟ ما الفرق بين العلم والمعرفة، هنا معرفة العبد ربّه يقول العلماء أن العلم لا يستلزم سبق الجهل والمعرفة تستلزم سبق الجهل؛ ولذا الله جل وعلا يوصف بأنه عالمٌ وعَلَامٌ وعليم ولا يوصف بأنه عارف؛ لأن المعرفة تستلزم سبق الجهل، معرفة العبد ربّه في الحديث الصحيح **«تَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ»** قال يعرفك يعني الله - جل وعلا - وهم يقولون أن المعرفة تستلزم سبق الجهل، وفي الحديث يعرفك جواب الطلب ومثل هذا يقال في سياق المجانسة والمشاكله **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** [سورة الشورى: ٤٠] ويتجوّز في مثل هذا لكن الله - جل وعلا - ثبت وصفه بالعلم **"معرفة العبد ربّه"** المعرفة مصدر مضاف إلى الفاعل فالعارف هو العبد والمعروف هنا هو الله - جل وعلا - ولذلك نصبه **"معرفة العبد ربّه ودينه ونبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم -"** هذه ستأتي بالتفصيل وهي موضوع الكتاب، قال - رحمه الله - **فإن قيل أو 'إِذَا قِيلَ لَكَ مِنْ رَبِّكَ؟' هُوَ أَجَابَ بِالْجَوَابِ الْإِجْمَالِيِّ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -** الله عليه وسلم - الآن هنا التفصيل فإن قيل لك من ربك؟ الأصل الأول **"فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته"** وفي بعض النسخ بنعمه بالجمع وهذا بالإفراد ولا فرق؛ لأن المفرد المضاف يقتضي العموم، أنت إذا قلت اللهم اغفر لي ذنبي وخطيئتي تقصد ذنب واحداً أو جميع الذنوب؟ جميع الذنوب؛ لأن الذنب مفرد وأضيف فيقتضي العموم، وهنا بنعمته مضاف ويقتضي العموم **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا﴾** [سورة إبراهيم: ٣٤] ماذا؟ **﴿نِعْمَةً اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾** [سورة إبراهيم: ٣٤] لو القصد نعمة واحدة ما تحصى؟! النعمة الواحدة ما تحصى؟! تحصى لكن المقصود بذلك نعم المولى التي لا تعد ولا تحصى **"فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين"** والشيخ - رحمه الله - في هذا يقرّر أن الرب مأخوذ من التربية؛ ولذلك قال: **"رباني وربى جميع العالمين بنعمته"** ويأتي

الرب بالمتفضّل يأتي معناه ويقصد به المتفضّل، ألك نعمة تربها عليه يعني تتفضل بها عليه، لكن المؤلف-رحمه الله-ذهب إلى المعنى الأول وهو قول الأكثر أنه مأخوذ من التربية "رباني وربى جميع العالمين بنعمته" وهو المتفضّل عليهم بالتّعم.

طالب:

أنا أقول في نسخة ثانية بنعمه ذكرت هذا! وأقول لا فرق بين المفرد وبين الجمع أنا ذكرت هذا.

طالب:

كلها صحيحة.

"وهو معبودي ليس لي معبود سواه" وهو معبودي ليس لي معبود سواه، وفي هذا إشارة إلى نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات يدخل في ضمن توحيد الربوبية، طيب ما الدليل على هذا الجواب؟ "والدليل قوله تعالى **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة: ٢]" في افتتاح القرآن وهي الفاتحة **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة: ٢] فالحمد هو معرفة الله- جل وعلا- بصفاته وجلاله وعظمته، وكثير من أهل العلم يفسره بالثناء- الثناء على الله- وابن القيم ينتقد هذا التعريف وإن كان قول أكثر أهل العلم وأكثر المصنفين في التفسير والحديث وغيرهما يقولون الحمد هو الثناء، ابن القيم- رحمه الله- في الوابل الصيب يقول لا، الثناء تكرار المحامد؛ ولذا جاء في تفسير النبي- عليه الصلاة والسلام- لسورة الفاتحة «إذا قال العبد **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة: ٢] قال حمدني عبدي فإذا قال **{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [سورة الفاتحة: ١] قال أثنى علي عبدي» ففرق بين الحمد والثناء **{الْحَمْدُ لِلَّهِ}** [سورة الفاتحة: ٢] وهذا يقتضي الحصر والقصر، الحمد ال هذه جنسية جميع أنواع المحامد لله خاصة بالله- جل وعلا- فهو المحمود دون سواه **{لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة: ٢] العالمين جمع عالم، قال: - رحمه الله- "وكل من سوى الله عالم" وكل من سوى الله عالم، جميع المخلوقات إما أن يقال عالم أو عوالم باعتبار أن كل جنس منها عالم، عالم الإنس، عالم الجن، عالم الطير، عالم الحيوان، كل من سوى الله عالم، ودليل هذا أنه جُمع في الآية قال العالمين واحد العالمين عالم الأجناس في ضمنها أصناف وأنواع، لا إشكال لما تقول الجنس الذي هو الإنسان عالم، والجن عالم، لكن أصناف هذا الجنس هل يقال لكل صنف منها عالم أي هي عالم واحد؟ يعني مثل ما هو دارج على ألسنة الناس اليوم العالم الإسلامي، العالم العربي وهي داخلة كلها في جنس واحد، أحيانًا يقولون في العالمين الإسلامي والعربي، المقصود أن كل من سوى الله عالم، قال- رحمه الله- "وأنا واحد من ذلك العالم" لماذا؟ قال الشيخ- رحمة الله عليه- وأنا واحد من ذلك العالم؟ هو داخل فيمن سوى الله- جل وعلا-؛ لأنه مخلوق مريبوب لله- جل وعلا- فهو واحد من فرد من

أفراد العالم، فهل مثل هذا يحتاج إلى تنقيح أو أن هذا من باب التعريف بالجزء بالمثال بالتمثيل؟ كل من سوى الله عالم قد يقال هات مثالا فقال وأنا واحد من ذلك العالم، الأصل الأوّل في معرفة العبد ربّه، وعرفنا المراد بالرب وعرفنا دليل ذلك، ثم قال الشيخ "فإذا قيل لك بمّ عرفت ربك؟" بمّ عرفت ربك؟ تظافرت على معرفة الله- جل وعلا- جميع الدلائل النقلية والعقلية والحسية بمّ عرفت ربك؟ فإذا قيل لك بمّ عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته، بآياته سواء كانت الشرعية أو الكونية، والتفكر بآياته سواء كانت الشرعية أو الكونية هي أعظم ما يرسخ الإيمان في القلب، وأطال ابن القيم في أوائل كتابه الجواب الكافي في تقرير ذلك، الإنسان قد يغفل؛ ولذا جاء مدح التفكر **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** {سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١} والآيات يقصد بها العموم مما يتناول الشرعية في كتاب الله- سبحانه وتعالى- والتفكر والتدبر لكلام الله هو أعظم ما يثبت الإيمان في القلب.

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

ويقول شيخ الإسلام-رحمه الله-" قراءة القرآن على الوجه المأمور به ما الوجه المأمور به؟ التدبر والترتيل، قراءة القرآن على الوجه المأمور به مما يزيد القلب إيماناً و يقيناً وطمأنينة وراحة ولا يعرف ذلك إلا من جربه، التدبر شأنه عظيم وقد جاء الأمر به في أربع آيات في النساء، وفي المؤمنون، وفي ص، وفي محمد صح أو لا؟ من منا من خصص واقتطع جزءاً من وقته لقراءة القرآن على هذا الوجه؟ على هذا الوجه المأمور به، الوجه النافع المفيد؟ قد يقول قائل الأجر رُتّب على مجرد التلاوة، مجرد القراءة كل حرف عشر حسنات، وإذا تدبرت بدل ما أقرأ خمسة أجزاء أقرأ جزءاً واحد دعني أقرأ خمسة أجزاء فيها نصف مليون حسنة بدل ما أجلس أتدبر ولا أنهي إلا جزءاً واحد فأيهما أفضل أن تكثر القراءة أو تتدبر وترتل ولو كانت القراءة يسيرة؟ أيهما أفضل؟

طالب:

يعني سواء يا إما تهذ أو ترتل لا يوجد فرق؟!

طالب:

لا، ليست المسألة مفترضة أن الواحد يقرأ جزء من القرآن إما هذا أو ترتيلاً المسألة مفترضة إما أن تقرأ جزءاً بالتدبر والترتيل أو خمسة، الجمهور على أن قراءة التدبر ولو قلت الحروف أفضل، وعند الشافعية أن الأجر المرتب على الحروف مراعاته أفضل، لكن يبقى أيهما أنفع للقلب ما الشيء الذي يؤثر في القلب؟ قراءة الهدّ هذه تؤثر في القلب؟ ما تؤثر في القلب، والقرآن إنما

أنزل للانتفاع به، ابن القيم - رحمه الله - يقول: من قرأ القرآن مرة واحدة بالترتيل والتدبر ومن قرأ القرآن عشر مرات بالهذ كمن أهدى درة واحدة قيمتها عشرة آلاف، والذي قرأ بالهذ عشر مرات كمن أهدى ماذا؟ أهدى أو تصدق بعشر درر قيمة كل واحدة خمسمائة، أو أربعمائة أو ثلاثمائة على حسب ما يدرك من هذه القراءة فرق! لا شك أن القرآن إنما أنزل للانتفاع به، ولا يُحرم من قرأه بالطريقة الأخرى وحصل أجر الحروف هذا ما يحرم الأجر له أجر الحروف لا إشكال في ذلك، لكن الكلام في الأنفع للمسلم ولا شك أن قراءته على الوجه المأمور به أنفع لقلبه وهي التي تورث المعرفة معرفة الرب - جل وعلا-؛ لأن الهادئ يمر بالآيات ولا يدري ما مضمونها، يعني اعتبر أو تصوّر نفسك في شارع من شوارع المدن الكبرى فيه ألوف مؤلفة من المحلات وعليها لوحات وعلامات وأنت تسير بالسيارة متئين كم ستحفظ وكم تدرك من هذه المحلات؟ لو خرجت من الشارع ثم قيل لك المحل الفلاني أين؟ ماذا تقول؟ لا تدري لكن لو تمشي عشرين ثلاثين ضبطت كل المحلات أو تمشي على رجلك، فكونك تدرك ما تقرأ ولو كان قليلاً أفضل من كونك أقرب للكثير وما تدرك وفضل الله واسع لا يحرم هذا الأجر ولا يحرم ذلك بإذن الله، لكن الكلام على ما ينفع القلب ويفيد القلب لا شك أن التدبر والترتيل أنفع للقلب "فقل بآياته" إذا قلنا أنها الآيات المتلوة فعطف المخلوقات عليها عطف مغايرة فتكون المعرفة بشيئين: بآيات ومخلوقات هذا شيء وهذا شيء، وإذا قلنا أن الآيات تشمل الآيات الشرعية والمقروءة والآيات الكونية قلنا هذا يكفي وعطف المخلوقات عليها من باب عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الخاص والعناية به، تريدون الاستفادة والاستعانة على هذا الأمر يعني الإنسان لو قلب رأسه بالسماء والنقت يمينا ويسارا يمكن لا يستفيد حتى يفتح له الباب، اقرؤوا في مفتاح دار السعادة لابن القيم يفتح الباب بإذن الله، وإلا فالإنسان إذا جلس كان العربي بفطرته إذا جلس أو أوى إلى فراشه وليس دونه ودون السماء حجاب يقرب بصره في أرجائها وأنحائها وما اشتملت عليه من نجوم وغيرها اعتبر لأنه يفهم بفطرته ويدرك، لكن الآن حُجِبَ الناس عن النظر وعن التفكر بهذه البيوت التي أشبه بالصناديق يحشر فيها الناس لا يرون شيئاً فحرموا من هذه النعمة "بآياته ومخلوقاته" قال "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر" من هذه للتبويض ليست كلها، واقتصر الشيخ - رحمه الله - على الآيات الكونية المحسوسة؛ لأن الآيات الشرعية المتلوة تدخل في اللفظ دخولاً أولياً، الآن لو قيل لواحد منكم اذكر لنا آية، ما الذي يتبادر إلى ذهنه؟ هل يذكر السموات والأرض والليل والنهار يقول آية {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الفاتحة: ٢] آية، هذا ما ذكره الشيخ لماذا؟ لأنه معروف لدى الخاص والعام الآيات الشرعية المقروءة المتلوة المسموعة "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر" آية من آيات الله، والقرآن آيات قبل أن نبعد كثيرا الحافظ ابن كثير ذكر في ترجمة شخص أنه له عناية بالقرآن قالوا إنه يختم كل يوم هذه قراءة تدبر وترتيل أو هذ؟ هذ، يقول وعنده قراءة تدبر أخذت عليه عشرين سنة ومات ولم

يكملها، الإشكال أن الإنسان على ما تعود، تعود الهذ يريد أن يجلس ويقرأ قراءة تدبر ما يدري إلا وهو بأخر السورة مثل الذي تعلم السرعة في قيادة السيارة إذا رأى حادثاً أو شيئاً ترفق كيلوين أو ثلاثة و يرجع إلى عادته، فعلى الإنسان أن ياطر نفسه على هذا الأمر ولو خصص في أول الأمر وقتاً لقراءته المعتادة ووقتها للتدبر ولو لم يقرأ إلا آية أو آيتين ويستعين على ذلك بكتب غريب القرآن وبالتفاسير المختصرة؛ لأن فهم المعاني يعين على التدبر، أما الذي لا يفهم المعاني لا يفهم معاني الألفاظ لا يستطيع أن يتدبر، لكن إذا عرف تحليل هذه الألفاظ وتركيباتها وجملها استطاع أن يتأمل ويتدبر ويفتح الله عليه بما لا يوجد في الكتب كما كان لشيخ الإسلام وغيره - رحمة الله على الجميع- "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر" بعض الناس يقول أقسم بآيات الله يجوز أو ما يجوز؟ إذا كان قصده بآيات الله القرآن الذي هو كلام الله صفة من صفاته فلا مانع، لكن إذا كان أطلق ولا يدري قلنا لا يجوز، الليل والنهار آياتان من آيات الله، الشمس والقمر آياتان من آيات لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- فالقسم مجمل لا بد من بيانه فإن كان يقسم بكلام الله هذا ليس فيه إشكال؛ لأنه صفة من صفاته "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما" وما بينهما يعني ذكر أعظم المخلوقات ومن أعظم المخلوقات العرش، العرش ثم الكرسي ثم السموات والأرضين "والدليل قوله تعالى **الْخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** [سورة غافر: ٥٧]" وهذه لا توجد في كثير من النسخ، هذه الآية عندكم؟ "والدليل قوله تعالى **الْخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** [سورة غافر: ٥٧]" وكلهم خلق من مخلوقاته، السموات والأرض والناس كلهم خلق لكن فيه هذا الخلق الكبير جدا وما دونه وفيه الصغير من مخلوقات الله ما لا يدركه الطرف **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾** [سورة المدثر: ٣١] **﴿الْخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾** [سورة غافر: ٥٧] وهي موجودة من بعض المخلوقات، يعني ليست زيادة من طابع أو ناسخ أو شيء لا، موجودة في بعض الأصول الخطية **﴿الْخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾** [سورة غافر: ٥٧] اللام موطنة لقسم محذوف، يعني واقعة في جواب قسم محذوف ويُقصد من ذلك التأكيد **﴿الْخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾** [سورة غافر: ٥٧] "وقوله تعالى **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [سورة فصلت: ٣٧]" يعني مقتضى الترتيب أن تكون هذه الآية قبل التي قبلها؛ لأنها استدلال على الآيات والتي قبلها استدلال على الخلق، والآيات مقدمة في الكلام والخلق مؤخر، في اللف الآيات مقدّمة وفي النشر أيضاً الآيات مقدّمة، النشر الذي هو التفصيل ومن آياته ومن مخلوقاته فمقتضى ذلك أن يقدّم دليل الآيات على دليل الخلق، لكن هذه الآية قدّمت وهي لا توجد في بعض الأصول الخطية وموجودة في بعضها ودلالاتها على المراد ظاهرة **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ**

وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ {سورة فصلت: ٣٧} لأنها وإن كانت آية وعلامة ودلالة على قدرة موجدِها وهما آيتان عظيمتان من آيات الله **{لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ}** {سورة فصلت: ٣٧} وقد وُجد من الخلق من يسجد للشمس، من أنواع المشركين من يسجد للشمس - نسأل الله العافية-؛ ولذا نهينا عن الصلاة وقت طلوعها ووقت غروبها ووقت استوائها في كبد السماء؛ لئلا نشابه من يسجد للشمس **{لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ}** {سورة فصلت: ٣٧} فهي مع كونها آيات هي أيضًا مخلوقات، يعني لا يوجد فاصل يميّز الآيات من المخلوقات، فالمخلوقات آيات والآيات أيضًا مخلوقات حاشا آيات القرآن الكريم؛ لأنها كلامه وكلامه قوله منزّل ليس بمخلوق **{وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ}** {سورة فصلت: ٣٧} مع كونها آيات هي مخلوقة أيضًا **{إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** {سورة البقرة: ١٧٢} إن كنتم تعبدون غيره كمن يعبد الشمس ويعبد الأشجار والأحجار وغيرها أمر ثاني لكن **{إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** {سورة البقرة: ١٧٢} تقديم المعمول يدل على الحصر فلا تفعلوا هكذا فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر "وقوله تعالى **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}** {سورة الأعراف: ٥٤} إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض، خلق السموات والأرض السموات إعرابها؟ مفعول به الذي خلق السموات والأرض المفعول به هو الذي وقع عليه فعل الفاعل، ضرب زيدٌ عمرًا عمرو قائم بذاته وجاء زيدٌ ضربه، فهل السموات والأرض قائمة بذاتها ثم وقع عليها الخلق؟ إعرابها مفعول هو قول أكثر النحاة، لكن أنا أورد هذا من باب زيادة في الفائدة وإلا أكثر النحاة على أنها مفعول به لكن مقتضى تعريف المفعول وهو أنه الذي وقع عليه فعل الفاعل أنه شيء قائم بذاته ثم فعل به ما فعل، الإشكال ظاهر أو ما هو بظاهر؟ بعضهم يعربها مفعولا مطلقا وليست مفعولا به، لكن إذا نظرنا إلى أنها مخلوقة فهي في وزن المفعول، لكن هل هو مفعول به أو مفعول مطلق؟ عامة أهل العربية يقولون مفعول به بغض النظر عن كونها قبل يعني ما وُجِدَتْ ما قامت بذاتها وقت الخلق ووقع عليها الفعل، لكن هذا وزانها مادامت مخلوقة فهي مفعول، هذا إشكال دقيق جدًا وقرره بعض النحاة، ولكن المعتمد هو قول الأكثر، وابن هشام في مغني اللبيب بسط هذه المسألة وكذلك السيوطي في الأشباه والنظائر النحوية، وبعضهم يرد هذا الخلاف إلى خلاف عقدي وهو أن الفعل أو أن القدرة على الفعل مقارنة للفعل نفسه مثلما يقولون هدى الله زيدًا يعني خلق فيه الهداية مباشرة فحصلت فيه الهداية هذا قول الأشعرية هذا معروف.

طالب:

يعني تفسّر الأيام الستة بما جاء تفصيله؟

طالب:

أين؟

طالب:

نعم أوجدها لكن ما وقع عليها فعل، عندنا **{خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}** [سورة البقرة: ١٦٤] أظن بسط هذا الكلام الذي يحتاجه يجده في مراجعه وأشرنا إلى شيء منها، منها مغني اللبيب لابن هشام، ومنها الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي ومصادر أخرى، المقصود أن هذين الكتابين فيهما تفصيل هذه المسألة والمعتمد هو قول الجمهور.

"إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [سورة الأعراف: ٥٤]" في ستة أيام الله- جل وعلا- إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، لماذا أجل ستة أيام؟ لحكمة إلهية ولا يُسأل عما يفعل، ولتعليم الناس الصبر، وأن القادر على إيجاد الشيء في لحظة أو في طرفة عين كن فيكون خلقها في ستة أيام **"ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** [سورة الأعراف: ٥٤]" العرش قبل السموات أو بعدها؟ قبل، **{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}** [سورة هود: ٧] ويختلفون في العرش والقلم أيهما الأول؛ لأنه جاء في الحديث الصحيح **«أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب»** والمرجح أن العرش قبل القلم كما قال ابن القيم- رحمه الله:-

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| والناس مختلفون في القلم الذي | كُتِبَ القضاء به من الديان |
| هل كان قبل العرش أو هو بعده | قولان عند أبي العلى الهمدان |
| والحق أن العرش قبل لأنه | قبل الكتابة..... |
| | أو وقت الكتابة كان ذا أركان |
| وكتابة القلم الشريف تعقبت | إيجاده من غير فصل زمان |

يعني أول ما خلقه قال له اكتب، أنت إذا قلت أول ما اشتريت السيارة ركبته هل معناها أنها أول سلعة اشتريتها؟ أو أن الأولية مقيدة بما حصل معها؟ أول ما اشتريت السيارة ركبته ليس معنى هذا أن هذه السيارة أول ما اقتنيت أو أول ما شريت أول ما اشتريت من السلع ليس بصحيح، وهنا **«أول ما خلق الله القلم قال له اكتب»** فور خلقه أمر بالكتابة **"ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** [سورة الأعراف: ٥٤]" استواءً يليق بجلاله وعظمته ولا يُعرض لتكيفه ولا تمثيله ولا تشبيهه، إنما يُثبت كما جاء عن الله فالاستواء كما قالت أم سلمة ومالك وغيرهما الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، السؤال عن الكيف كيف استوى؟ هذه بدعة فالكيفيات لا يعلمها إلا الله- جل وعلا- وإن كانت المعاني معروفة في لغة العرب، المعاني معروفة استوى علا وارتفع وصعد وقصد معانيها في لغة العرب معروفة، لكن كيفيتها كيف استوى؟ هذا مجهول والسؤال عنه بدعة، والسلف يقولون تُمرّ كما جاءت، آيات الصفات تُمرّ كما جاءت ونسبوا لمالك أنها من المتشابه وهذا لا يثبت عن مالك- رحمه الله- بل هي من المحكم؛ لأن معانيها معلومة لكن

الكيفيات مجهولة، ونسب بعضهم من خلال هذا الكلام المأثور عن السلف أن مذهب السلف التفويض وهذا قول باطل مذهبهم الإثبات وليس مذهبهم التفويض ولا التشبيه ولا التعطيل، قد يقول قائل السلف يقولون أمرؤها كما جاءت أليس هذا هو تفويض؟!

أذان؟ تفضل.

المؤذن يؤذن.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أقول نسب بعضهم قول التفويض إلى سلف الأمة وأئمتها ونشر هذا في المواقع وتداوله الناس ومشى على بعض المتعلمين؛ لأنه لم يدرك معنى قولهم أمرؤها كما جاءت، ولم يدركوا التفريق بين معرفة المعنى ومعرفة الكيفية، الألفاظ من لغة العرب ما جيء بالألفاظ أعجمية أو ألفاظ مركبة من حروف لم تستعمل في أي لغة من اللغات، يعني ما لا فرق بين زيد شخص لا تعرفه وبين ديز عكس زيد؟ لا فرق بينهما؟

طالب:

لكن لا فرق بين اللفظين؟ هذا له معنى وهذا ليس له معنى، فإذا سمعت كلمة زيد عرفت أن هذا اسم يطلق على شخص ذكر له أوصاف، له أبعاد، له أجزاء، لكنك لا تعرف كيفيات هذه الأبعاد؛ لأنك ما رأيته، لا تدري هل هو كبير الجثة؟ صغير طويل قصير؟ أبيض أسمر؟ لا تدري عن شيء، أنت لا تعرف كيفيتها؛ لأنك ما رأيته لكنك تعرف المعنى، لكن إذا قيل لك ديز ماالذي ينصرف إلى ذهنك هم يريدون الصفات مثل هذا اللفظ بدون معاني، هذا الكلام باطل، وشيخ الإسلام رد عليهم ردًا قويًا - رحمة الله عليه - مذهب التفويض "رَبُّنَا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا" [سورة الأعراف: ٥٤] ثم استوى على العرش في سبع آيات من القرآن منها هذه الآية آية الأعراف، يغشي يعني يغطي الليل بالنهار ويغطي النهار بالليل، كل واحد منهما يغطي الثاني، هذا يغطي النهار بظلامه وذاك يغطي الليل بضياءه، والغشاء الغطاء، لا أدري يستعمل عندكم يقال فلانة تغطت يعني تغطت هذا موجود عند عامة الناس، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا كل واحد يطلب الثاني بسرعة، لا يوجد فاصل إذا انتهى النهار جلست ساعة أو ساعتين ما جاء الليل أو العكس لا، سريعًا حثيثًا "يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" [سورة الأعراف: ٥٤] يعني وخلق لأن العطف على نية تكرار العامل وخلق الشمس والقمر، تأمل الآن صارت الشمس والقمر من المخلوقات، وفي كلام الشيخ الأول واستدل له بقوله ومن آياته الليل والنهار هي من الآيات؛ ولذا لا تتافر بين كون الشيء آية وكونه مخلوقا "وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" [سورة الأعراف: ٥٤] مسخرات لينتفع

بها العباد، الشمس ينتفعون بضيائها وبدفئها وبقضائها على كثير من الجرائم التي لو لم تضربها الشمس لزدت وانتشرت بين الناس، فالشمس لها فوائد عظيمة وهي مسخرة لنفع الخلق، وكذلك القمر والنجوم كل هذه الأمور خلقت وأوجدت لينتفع بها الناس **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}** [سورة البقرة: ٢٩] وكذلك ما يمكن أن يستفاد به مما في السماء والنجوم خلقت ليهتدي بها الخلق وزينة للسماء ورجوم للشياطين هذه هي الحكمة من خلقها، ألا له الخلق، ألا حض وتنبهه، ألا له الخلق والأمر هو المتفرد بالخلق وله أيضًا الأمر والنهي كما سيأتي في كلام ابن كثير - رحمه الله - **"{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الأعراف: ٥٤]" **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ}** [سورة الفرقان: ١] **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}** [سورة الملك: ١] وهذه المادة بهذا اللفظ لفظ تبارك لا يجوز إطلاقها إلا على الله - جل وعلا - ما يقال تبارك فلان أو تبارك علينا، نعم قد يكون في الناس من جعل الله فيه بركة، والوقت قد يكون فيه بركة، وقد تنزع منه البركة، والمال قد يكون مبارك وفيه بركة وقد تنزع بركته فلا يستفاد منه، والولد قد يكون مباركا وقد يكون غير مبارك لا فائدة فيه، مبارك نعم، وجعل الله فيهم بركة نعم، لكن تبارك لا.

طالب:

كذلك، المقصود أن البركة ليست مطلوبة من المخلوق مطلوبة من الله - جل وعلا -.

{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [سورة الأعراف: ٥٤] كما تقدم في قوله - جل وعلا - **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة: ٢] والرب هو المعبود، التبرك خاص بمن جعل الله فيه البركة فلا يجوز أن يُتبرك بشيء ما جعل الله فيه البركة؛ لأن البركة إنما هي هبة من الله - جل وعلا - وجعلها في نبيه - عليه الصلاة والسلام - فتبارك أو تبرك، تبرك الصحابة بآثاره بشعره ببصاقه بما ينزل من وضوئه إلى غير ذلك وهذا خاص في حياته انتهى ذلك بوفاة - عليه الصلاة والسلام - **"والرب هو المعبود"** الرب هو المعبود؛ لأنه قال ربي الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي، والرب هو المعبود مقتضى توحيد الربوبية أنه هو الخالق والرازق وإذا كان هو الخالق والرازق فهو المعبود؛ ولذا قال ليس لي معبود سواه، وقال الحافظ ابن كثير كما سيأتي الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة **"والدليل قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** [سورة البقرة: ٢١] **"يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي تكون لله - جل وعلا - الخالق والرازق المتصرف المحيي المميت يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** [سورة البقرة: ٢١] فالعبادات بجميع فروعها وأجزائها إنما شرعت لتؤدي على الوجه المشروع فتثمر التقوى، والتقوى فعل الأوامر واجتناب النواهي، فالصلاة شرعت لتنتهي عن الفحشاء والمنكر، أصلاتك تأمرك بالصلاة التي تؤدي كما فعلها النبي - عليه الصلاة والسلام - تأمر وتنتهي، والصيام **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى**

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {سورة البقرة: ١٨٣} فالصلاة التي لا تؤدي إلى هذه النتيجة لا بد أن يكون فيها خلل، والصيام الذي لا يورث التقوى فيه خلل لا بد من مراجعته، والحج الذي لا يورث التقوى فيه خلل **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِيْتَمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْتَمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى﴾** [سورة البقرة: ٢٠٣] أما الذي لا يتقي الله - جل وعلا - عليه الإثم؛ ولذا جاء في الحديث الصحيح «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» **«الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا»** [سورة البقرة: ٢٢] "الأرض فراش يستفيد منها الناس ويجلسون عليها وينامون عليها كالفراش وهي مهاد يلازمها الناس كملازمة الرضيع للمهد **«الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا»** [سورة البقرة: ٢٢] ويسر البقاء عليها والتصرف فيها **«وَالسَّمَاءَ بِنَاءً»** [سورة البقرة: ٢٢] "بناء مثل السقف وهي سقف محفوظ، الأرض فراش والسماء بناء وسقف، لو حلف شخص ألا ينام على فراش فنام على الأرض يحنث أو لا يحنث؟ تلزمه كفارة أو ما تلمه؟ لماذا؟

طالب:

ما هو الجواب؟

طالب:

الله - جل وعلا - يقول **«جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا»** [سورة البقرة: ٢٢] وحلف لا ينام على فراش ونام على الأرض وهي فراش بالنص.

طالب:

نعم الأيمان والندور مردها إلى الأعراف، ولو قال لا أنام تحت سقف ونام تحت السماء كذلك **«وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»** [سورة البقرة: ٢٢] "السماء المراد بها نعم يقولون السحاب وإلا فالأصل أن الماء والمطر ينتج عما يتبخر من مياه البحار ويتصاعد إلى السماء ثم ينزل بإذن الله - جل وعلا -.

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج لهن نئيج

لهن صوت، شربن بماء البحر يعني أن هذه السحاب حكمها حكم من يشرب من ماء البحر ثم ينزله على الناس بسبب الحرارة والتبخير الناتج عن هذه الحرارة، لكن قد يستشكل من يستشكل ويقول الملاحظ أن الأمطار أكثر ما تكون في زمن الشتاء والتبخير يكون إذا كان الجو بارداً أو إذا صار حاراً؟ يعني الصيف أولى، الصيف أولى بالتبخير ثم التكثيف في الجو ثم إنزاله مطراً، على كل حال ابن القيم يقرر ما ذكره أهل الهيئة من أن المطر بسبب التبخير ثم نزوله مرة ثانية وهو المعروف عند المتقدمين ويقرره المتأخرون، لكن لا يوجد من أدلة الشرع من الكتاب والسنة

ما يدل على ذلك، بل جاء من الأدلة ما يدل على أن ميكائيل ملك من الملائكة، موكل بالمطر ويكيله في السماء قبل نزوله، وعلى كل حال المسألة فيها سعة؛ لأن السماء كما تُطلق على السموات الأجرام المعروفة تطلق على جهة العلو **"وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ** [سورة البقرة: ٢٢]" هذا المطر الذي نزل نتج عنه الرزق الذي هو عبارة عن الثمرات والزرع **"فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** [سورة البقرة: ٢٢]" فلا تجعلوا لله أندادا أمثالا وأشباه ونظراء تجعلونهم في مصف الله - جل وعلا- وتعبدونهم معه أو دونه وأنتم تعلمون، القيد وأنتم تعلمون هل له مفهوم أو لا مفهوم له؟ بمعنى أن الإنسان لو اتخذ أندادا وهو لا يعلم هذه مسألة العذر بالجهل وشروطه وقيوده لا شك أنها مسألة عظيمة ومهمة ومعروفة عند أهل العلم ويُعذر بالجهل من لم تبلغه الحجة **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}** [سورة الإسراء: ١٥] ومن بلغته الحجة بغير لغته من الأعاجم فلا يفهمها لا بد أن تُوضح له وتبين وترجم له، فإذا كان يفهمها بطبعه كالعربي أو ترجمت له كالعجمي لزمته ولو وُجد مانع من قبوله إياها لأنه أحياناً يفهم الحجة لكن يوجد عنده مانع من القبول، الاقتداء بالعلماء قد يمنع من قبول الحجة هذا عند جميع الطوائف، لو جئت لعامي قبل ثلاثين سنة وقلت له هذه المسألة من مسائل الصلاة وهو ما اعتادها هي ثابتة بحديث صحيح وهو ما رأى المشايخ الذين أدركهم يفعلونها وأنت شاب تعرف هذا النص تلقيه على هذا العامي ما يقتنع بك وهو رأى مشايخ كبار تعاهدوا وتواتوا وتتابعوا على عدم العمل بهذه السنة عنده مانع من قبول الحجة؛ لأن عمل أهل العلم عنده على خلاف ما تقول، أيضًا في الأقطار الذين يطوفون بالقبور ويتعبدون ويدعون غير - الله جل وعلا- في المشاهد عند الأضرحة تجده يقول والله الدليل واضح لكن شيوخنا منذ أن خرجنا إلى الدنيا وهم يفعلون كذا- نسأل الله العافية- هذا ليس بشرط هذا يؤاخذ ولو وجد هذا المانع عنده؛ لأنه ليس متعبداً بقول فلان أو إعلان متعبداً لمن خلقه ورزقه **"الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"** هو المستحق للعبادة، أنت لو صنعت لك آلة فاعتدى عليها شخص وسماها من الذي يسميها؟ الذي صنعها، اعتدى عليها واستعملها نقول لا، حرام عليكم هذا اعتداء، هذا ظلم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، الخالق لهذه الأشياء المذكورة يعني من السموات والأرضين والشمس والقمر وكل ما جاء من صغير وكبير مما يدخل في حيز هذه الصفة صفة الخلق، الخالق لها هو المستحق للعبادة، الإنسان يعجب حينما يقال كانوا يعبدون الأحجار، طيب ما هي النتيجة؟! تتفعمهم أو تضرهم؟! يعبدون الأشجار، تأتي المرأة إلى نخلة أو إلى شجرة وتقول ارزقني ولداً، أو أريد زوجاً؛ ولذا جاء في الأثر أن أحد الصحابة قال للنبي -عليه الصلاة والسلام- أين عقولنا يا رسول الله حينما كنا نعبد التمرة فإذا جعنا أكلناها؟! أين العقول؟! قال **«أخذها باريها»** الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.



والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.